شذرات المساء

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: شذرات المساء**
- **المؤلف: سيد حمدي**
- **نوع العمل: نصوص**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 28468 / 2019**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-89-8**
- الغلاف: ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

شذرات المساء

نصوص

سيد حمدي

www.bbibliomania.com

2019

إهداء

إلى روح أبي ، وقلب أمي ..

إلى زوجتي التي تصبر علي كصبر الأمهات على أطفالهن ..

إلى كل من علمني علمًا وفهمني فهمًا .. إلى كل طيب .

*****

مقدمة

هذا الكتاب الذي بين أيديكم (شذرات المساء) هو نتاج سنوات طوال قضيتها في تحصيل العلم، والسفر، والعمل، والآن أنقل لكم بين دفتيه بعضا مما تعلمته، وبعضا من خبراتي التي اكتسبتها خلال هذه السنوات بفضل وتوفيق من الله .

ففي تلك السنوات درست بالأزهر، وتعددت قراءاتي، وتعلمت وعملت مع مختلف الجنسيات، وامتهنت الإعلام، علاوة على دراسة بعض العلوم الإنسانية كالسياسة وغيرها، لذلك ستجدون في هذا الكتاب خواطر متنوعة تجول في عالم الأدب والفن حينا، ثم تحلق في أجواء السياسة دون أن تغفل أثرهم المباشر وغير المباشر على المجتمع، والتربية، وكافة فنون الحياة التي تمس الإنسان وتحدد ثقافته وحياته.

ولعل سر حبي لهذا الكتاب وحرصي على إيصاله لكل شخص في يده، كونه ثمرة نعمة لطالما نغفل عنها ، وكنت أنا أول الغافلين عنها، وبمجرد أن وعيت لها وبدأت في شكر الله عليها واستغلالها، تغيرت جل المفاهيم عندي، وبها زاد شكري لله، وطار عقلي في ملكوته يجول ويصول، فسما فكري وتحركت عاطفتي نحو كل نعمة رزقنا الله إياها ونتعمد أن نغفلها.

إنها قيمة التأمل والتدبر، فلقد دربت عقلي على تلك القيمة العظيمة، فتارة أتأمل في يومي ، وتارة في غدي ، وكثيرا ما كان عقلي يصول ويجول في الماضي ، لأتذكر أمورا وأحداثا كان لها أبلغ الأثر في حياتي ..

ثم عند الوصول إلى جهاز الكمبيوتر أدون ما كنت أفكر به، وما طرأ على خاطري .. فكان هذا الكتاب الصغير الذي أرجوا أن يكون إضافة لكل من يقرأه والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات.

*****

تقديم الأديبة والكاتبة الأستاذة نسرين عنلني

وفي هذه الروضة الغناء.. تنصت لتلك الجمل الرشيقة نغماً راقياً... تقع في نفسك وقع الندى، رطباً يعيد إليها رقة بعد جفاف.. ونضرة بعد ذبول والتفاف.. وتلتمس رحيقاَ عجيباً من مزيج أدب، وفكر، وسمو، وتقى حتى لا تستطيع الفصل بينهم، في مهارة نسج موشى بصدقِ رؤى، وجميلِ نظر...

و حين نقرأ هذه الشذرات وحقاً هي... نجد الأديب قد عمد إلى وضع الدواء بمهارة طبيب حانٍ لأدواءٍ نعانيها في حياتنا المجتمعية والفردية.. فأنت تقرأ وكأنك تغني قصيدة تترنم بموسيقاها، دون أن تشعر باستلال ذاك السقم بهدوء بل وباستمتاع..

أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل المبارك مثقلا في موازين صاحبه صاحب الخلق الرفيع _ولا نزكيه على الله _ ونشهد بما علمناه مسلماَ معتصماً بحبل الله يروم رفعة كلمته..

*****

عبير يرف.. تمس نداه
وزهرَ بديعَ.. يسر رؤاه

فأقبل لتغنم وتجني الحياه
وتكسب حسناً بدا منتهاه...

وعند النَهَر..
نخيل خضوبٌ.. ولحنٌ طروبٌ
وشطٌ رحيبٌ.. ونَسمةُ حبٍ زكي عطر

وهذا بيانٌ.. وسحرٌ حلالٌ
وقلبٌ نقيٌ.. يذوب اشتياقاً لقطر المطر

*****

رسالة إلى عموم النساء

يغيب عن كثير من النساء لاسيما اللاتي هن حديثات عهد بالزواج حسن التصرف خصوصا أمام المشكلات ذات الطابع الحساس التي تعتري حياتهن ، فيتسببن في كوارث من حيث أردن الإصلاح ، وينجحن في الفشل من حيث رغبن في الفلاح .

هناك ساذجات ، تأثرن كثيرا بما يدور في السينما والدراما والأغاني الرومانسية ، فتصورن أن الزواج علاقة لا يشوبها ما يشوب غيرها من العلاقات ، ويلزم كثير من المشكلات التي تعتريها قدرات وإمكانات وخبرات أصيلة ذات مرجعية شرعية وعرفية لمعرفة تجاوزها لتسير الحياة بلا توقف ..

وهناك شديدات الجهل بما يجب أن يفعلنه في المواقف المختلفة لضعف في العلم الشرعي، والعرف الاجتماعي الأصيل الذي لا يخالف الفطرة ولا ينافي الآداب العامة ..

وهناك حالمات يحلقن بخيالهن ويصلن إلى مراتب متقدمة يصعب على كثير من الأزواج الاقتداء بها ، للعديد من الأسباب ، فليس هناك فاطمة وبالطبع ليس هناك علي ؟!

لاشك تساعد التربية السليمة التي ترسخ الحد الأدنى من القيم والمهارات والخبرات المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونماذج

الصحابة والتابعين والصالحين قديما وحديثا في حل كثير من المشاكل التي تعتري الحياة الزوجية ، لاسيما في هذا الزمن الذي تعلو فيه قيم مستوردة ، مشوهة بفعل غياب القدوات، وندرة العقلاء، وتحكم السفهاء .. واستعلاء خطاب نسوى عنصري ساهم في تأزيم الواقع، بطلته رضوى الشربيني وأخواتها .

إن البنت التي تحرص دوما على أن تتفقه في دينها والاطلاع المتواصل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والتمعن في طبيعة العلاقة بين النبي وزوجاته ، والصحابة وزوجاتهن حتما ستصل إلى مستوى مميز من الإدراك والنضج الذي يقيها من مغبة الوقوع في الحرج النفسي .. فتعرف متى تقرر العيش بجانب رجل ، ومتى تقرر الانفصال ..

وبين السطور ستعرف أن الخلافات أمر حتمي، وشر لا مفر منه ولكن بالتقوى والنية الحسنة وحسن التدبير ستتحول المشكلات إلى خبرات ، وأنه من المهم جدا أن تنصرف المعايشة الزوجية إلى جوانب لا تقل أهمية عن الأكل والشرب ومصاريف الدراسة والإيجار والفواتير مثل مشاركة المشاعر والأحاسيس، لأنها ستتعرض أثناء القراءة لموقف زوجة سيدنا عبد الله بن رواحة وهي تبكي، وعندما سألها لماذا تبكين ، فترد عليه : رأيتك تبكي فبكيت !

وستدرك وهي تقرأ أنه من العيب الشديد أن تضحك وهي ترى زوجها مغموم !

وستتعلم الفتاة حين تجلس في روضة السيرة كيف تشجع زوجها على فعل الخير ، كما في قصة أم الدحداح وزوجها، وستتعلم كذلك كيف تتصنع لزوجها حتى في أحلك الظروف كما فعلت أم سليم لأبي طلحة لما مات ولدها، وستتعلم إلى أي مدى تصل غيرة الزوج حين تقرأ أن سيدنا أبو هريرة ولى مدبرا حين قص عليه النبي رؤية رأى فيها أنه وجد امرأة تتوضأ إلى جانب قصر في الجنة ولما سأل علم أن القصر لعمر بن الخطاب ، فخاف أبو هريرة لما تذكر غيرة عمر !

وستتعلم كذلك أنه لا مانع من التقدم بالشكوى من سلوك زوجها إلى من ترتضى دينه وأمانته ، كما اشتكت أم الدرداء إلى سيدنا سلمان من إهمال زوجها لها ، لكنها مع الشكوى ستتعلم الإنصاف فلا تقول إلا صدقا ، وتعدد محاسنه قبل أن تذكر عيوبه ، كما في موقف زوجة ثابت بن قيس التي كرهت زوجها كرها شديدا ولا تطيق الحياة معه لكنها أنصفته حين قالت : إني لا أعتب عليه في خُلُق ولا دين، فخُلُقه من أحسن الأخلاق، ودينه من أقوم الأديان؛ لكن أكره الكفر في الإسلام بمعنى أخشى إن بقيتُ عنده أن آثم؛ لكوني لا أستطيع أن أقوم بواجب حقِّ الزوجية.

وستتعلم مالا يحصيه القلم ..

كن مرنا !

في مكتب قسم التحرير بالشركة التي أعمل بها يدخل علينا مرة أو مرتين كل أسبوع بائع للعطور من الجنسية الآسيوية ، وكعادته لا يزيد عن قول : السلام عليكم تبغى عطور ؟ فلا يلتفت إليه أحد على الإطلاق ، على مدار سنوات طويلة جدا والأمر متواصل لم ينقطع ، لا الرجل يريد أن يعدل من طريقة عرضه، ولا الزملاء وأنا منهم فكرنا أن نشتري منه، حتى دخل علينا بالأمس وكأنه إنسان جديد كليا، فقد شرع في المزح والهزار بطريقة غيرت مودنا جميعا ، وراح يعدد الأنواع التي يحملها، ومميزات كل عطر ، وسعره ، معلنا استعداده بعمل تخفيضات كبيرة إذا قرر أحدنا الشراء ! اللافت أن الزملاء لم يكتفوا بشراء منتج واحد بل أكثر من ذلك ..تذكرت وأنا أتأمل هذا المشهد الملهم إصرار بعض الناس على اختلاف مشاربهم ومهامتهم على المضي قدما في طريق واحد لا تجديد فيه ، وتبعات هذا الجمود على الأفراد والمجتمعات ..

لاشك أن تنوع الأسلوب أدعى لوصول الفكرة ، ذلك أنها _ أي الفكرة_ قد تختفي بأسلوب وتظهر بأسلوب آخر ، علاوة على أن تنوع الأسلوب أفضل وأنجع في تثبيت المعلومة، ذلك أن بعض الناس سمعيا، وبعضهم بصريا، وبعضهم قد يشده مالا يشد ويجذب غيره، ناهيك عن أن تنوع أساليب العرض يستوعب الفروقات الفردية بين الناس !

يصر بعض الآباء على معاملة أولادهم بنفس النمط الذي تربوا عليه، في غير تجديد يستوعب متغيرات الواقع، ثم ينتظرون نفس النتائج التي تطوف بخيالهم وتدور بخلدهم ، ويصر المدرس على تعليم تلاميذه بأسلوب واحد ، ونمط معين، لا يعرف الابتكار والتجديد لمنهجه طريقا، فلا يستخدم لغة جسده، ولا يستعمل أدوات حسية ، ورسوم توضيحية ، ومواد سمعية ، ثم يتهم الطلبة بأنهم هم الأغبياء، ويصر الخطيب على الصراخ طيلة الخطبة متصورا أنه أجاد وأفاد ولم يصل إلى علمه أن الخطابة بحاجة إلى استخدام لغة الجسد، والإشارات، والإيماءات، وتغيير نبرة الصوت، وما إلى ذلك من مهارات التواصل.. ويصر الرجل على المضي قدما في ذات الطريقة التي يتعامل بها مع أهله وبيته ، ولا يلتفت على حالة الفتور التي كست البيت ، ولا الجليد الذي يزين زواياه ، ولا إلى لغة الصمت التي عششت في أركانه ، ولا يفكر في كسر حالة الملل بتغيير نمط حياته لتجديد مياه الحياة الزوجية الراكدة ، ولو بعزومة بسيطة أو برحلة قصيرة بأقل الإمكانيات ..وتصر المرأة على التعامل مع زوجها بذات الطريقة التي تستفزه وتراهن على تغييره هو ، ولا تفكر في أن التغيير قد يكون مطلوبا منها ابتداءً ، ويصر المجتمع على استخدام عبادات مكان عبادات كاستعمال الصبر مكان الإقدام ، واللين مكان الشجاعة، ويتصور أن الفرج قادم استنادا إلى ما يقوم به من طاعات !

*****

كونوا كنبات الخيزران

بعد سفري بأيام ، تعرفت على رجل مصري يعمل بمهنة المحاسبة ، وكان راتبه ضعيفا ، لكنه كان نموذجا فريدا بين عموم المصريين في الغربة ، فبينما كان الجميع يدخر المال لأجل شراء شقة أو بناء بيت أو تجهيز عش الزوجية ، عمد صاحبنا هذا إلى الادخار من أجل تأسيس نفسه تأسيسا مهنيا عالميا ، من خلال الحصول على أرفع الشهادات الدولية في المحاسبة ، وكانت وقتها لا تمنح إلا لمن يسافر إليها في أمريكا ..

ربما تزوج من جاء بعده ، واشترى شقة ، وبعضهم فعل أكثر منذ ذلك ، وربما نظر أكثرنا إلى هذا المسكين نظرة لا تخلو من شفقة، ومنطقنا المحكي في فلتات عيوننا أن العمر يتقدم به ، ولم يرتبط بعد ، ولم يسع لشراء شقة أو بناء بيت !

وما هي إلا سنوات قليلة وكان صاحبنا قد جمع فيها المال اللازم للسفر لأمريكا من أجل اجتياز تلك الشهادة الرفيعة ، وبالفعل حصل عليها ، وعاد إلى نفس البلدة التي خرج منها ، لكن الراتب تضاعف لأكثر من ١٥ ضعفا ، وكان البرج الفخم الذي يسكن به في وسط العاصمة دليلا على التحول الكبير الذي أصابه !

تذكرت هذا الموقف الذي مر عليه سنوات، وأنا أقرأ مؤخرا عن نبات (الخيزران) ، الذي يشبه إلى حد ما صاحبنا المحاسب !

توضع بذرة نبات الخيزران في الأرض، وتروى لمدة شهر وشهرين وثلاثة وسنة وسنتين وثلاثة فلا يظهر منها على سطح الأرض شيئا ، لكنها مع بداية دخول العام الخامس تبدأ في الظهور ، وسرعان ما تنمو وتصعد في السماء ..

أين كانت البذرة كل هذه السنوات ؟!

كانت تثبت جذروها في الأرض بشكل شبكي متقن، لأنها في اللحظة التي تظهر فيها على الأرض تنمو بشكل سريع يصل إلى متر كامل في اليوم الواحد ، وخلال أيام معدودة يصل طولها إلى ٣٠ متر تقريبا !

لو لم تمكث كل هذه السنوات تثبت دعائمها فلن تقوى على الصمود والثبات مع هذا الطول الشامخ !

ينطبق الأمر على التربية ، والعمل المهني ، وكل شيء في حياتنا .. ولعل هذا من تجليات قيمة الصبر !

كلما تأملت في الحيوان والنبات أدركت بعضا من سر الأمر الإلهي (قل سيروا في الأرض فانظروا ..)

*****

هجر الأساليب القرآنية في التعبير

مشكلة وقع فيها كثير من أبناء العربية عموما ، والكتاب والأدباء على وجه الخصوص وهي هجر الأساليب القرآنية في التعبير وعدم استعمال كثير منها ، فالأساليب القرآنية تحمل في طياتها بلاغة وفصاحة، وحلاوة ، علاوة على احتوائها على معانٍ دقيقة تساهم في تحسين الذوق العام أثناء الكلام ..

خذ مثلا لفظة (المطر) فهي تأتي مقرونة بالعذاب والأذى ، على خلاف (الغيث) التي يأتي معها الفرج والسرور ..

وخذ مثلا لفظة (التغيير) فهي مرتبطة بالأمور السلبية ، على خلاف كلمة (الإصلاح) المرتبطة بالأمور الإيجابية .

ومن يتأمل حال اللغة العربية يدرك أن لفظة (الجسم) لا تستعمل إلا مع الحي، أما (الجسد) فتستعمل للميت .

وتستعمل كلمة (العام) مع الرخاء ، أما كلمة (السنة) فتستعمل مع الجدب والجفاف والقحط ولهذا قل عن ابنك : عمره عشرة أعوام ، ولا تقل عمره عشر سنين !

و(القعود) من الوقوف ، و(الجلوس) من الاضطجاع ، و(الملأ) للحاشية التي ليس لها رأي وسلطان كـ(ملأ) فرعون ، و(ملؤ) للحاشية التي لها رأي كـ(ملؤ) بلقيس ..

و(التمام) لا يستعمل إلا عند الحديث عن الوصول إلى الكمال المتجه إليه إثر نقص .

ونقول (مجيء) إذا قصدنا أن القادم آت من زمان أو مكان قريب ، ونقول (إتيان) ، إذا كان القادم آت من مكان أو زمان بعيد ..

إضافة إلى ذلك خذ مثلا لفظة (لما) التي استخدمها القرآن في أكثر من موضع..

تعمل (لما) عمل (لم) النافية غير أن هناك اختلافا لطيفا بين الكلمتين ..

فـ(لم) تستخدم عند النفي الذي لا يتوقع انقطاعه .. و(لما) تستخدم عند النفي المتوقع انقطاعه ..

فحين أسأل هل جاء محمد ؟

لو جاوبت بـ(لم) يأت .. فإن ذلك يفيد النفي مع عدم اليقين بمجيئه.

في حين لو كانت الإجابة بـ(لما) فإن ذلك يفيد النفي مع ما يفيد الحضور لكن المسألة مسألة وقت ربما .

وانعكاساتها الذوقية في الواقع حين يسألك أحدهم على مريض له ، راقد في المستشفى .. هل أفاق فلان ؟

فلا تجبه بـ(لم يفق) بل يكون الجواب الأنسب (لما يفق) ؛ وذلك لأن الأولى تفيد انقطاع الأمل في الإفاقة بينما تفيد الثانية الرجاء في حصول الإفاقة !

ولذلك رحم الله الأعراب الذين قال فيهم : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) .. فلو قال ولم يدخل الإيمان في قلوبكم ؛ لانقطع رجاؤهم في تحصيل الإيمان ، وربما توقفوا عن العمل ، لكن باستخدام (لما) بدلا من (لم) حفزهم على العمل حين أعطاهم الأمل ..

إذا كنا فهمنا معنى (لما) على هذا النحو يمكنك أن تدرك إن من أشد الآيات القرآنية تخويفا قوله تعالى عن المشككين في القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) .. أي على ما أنتم فيه من عذاب لكنكم لم تتذوقوا العذاب الحقيقي بعد !

*****

كن رجلا !

أحد من أعرفهم من الشباب أحب فتاة حبا جما ، وتقدم لخطبتها، وظن الجميع أنهم سيكونون أمام قصة تحاكي قصص الحب التي خلدها التاريخ ، وما هي إلا أيام وفسخت الخطبة وراح كل منهما في طريق ..

اللافت أن هذا الشباب راح يخرج من الأسرار ما يرفع حجب الستر عن البنت، دون أدنى مروءة ، لدرجة أن البنت فكرت في الانتحار ..

تذكرت وأنا أتأمل في تلك القصة الواقعية المكررة في كثير من المدن والأحياء والقرى ما رواه الأصمعي حين دخل البصرة وتحديدا في بادية بني سعد ، وكان خالد بن عبد الله القسري واليا عليها ، وتميز هذا الرجل بالحكمة والدهاء ..

وجد الأصمعي الأهالي متعلقين بشاب حسن الثياب ، جميل الوجه ، هادئ الطبع ، ومتوجهين به إلى خالد ليقطع يده لأنه ضبط متلبسا بالسرقة من إحدى البيوت ، ولما نظر إليه خالد قال في نفسه : ما هذه هيئة لص ، فأمرهم أن يخلو عنه ويعودوا من حيث جاءوا ..

أخذ الفتى على انفراد وسأله كيف يكون لصا وهو بهذه الهيئة ، وهذا الحسن ، وذاك الحياء والجمال والبهاء !

فأكد له الفتى أنه لص حمله الشره في الدنيا على السرقة وطلب من الوالي أن يسرع في قطع يده ..

حاول خالد أن يخرج منه باعتراف حقيقي بعيدا عن قصة السرقة التي لم تدخل رأسه ، لكن الفتى أصر على أنه سارق ويجب أن يقام عليه الحد !

أمر خالد بمنادي ينادي في أهل البصرة ليجتمعوا ويشاهدوا عقوبة اللص الجميل ! ولما اجتمع القوم عن بكرة أبيهم حاول خالد محاولة أخيرة أن يثني الشاب عن الاعتراف آمرا إياه أن يقول الحقيقة ، فلم ينجح .. ولما هم الجلاد ليقطع يده ، برزت فتاة جميلة ورمت نفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر ، فأخذها خالد وسألها عن القصة فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها وهي كذلك ، وأنه أراد زيارتها وأن يعلمها بمكانه ، فرمى بحجر إلى الدار ، فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر ، فصعدوا إليه ، فلما أحس بهم ، جمع قماش البيت كله وجعله صرة ، فأخذوه ، وقالوا: هذا سارق ، وأتوا به إليك ، فاعترف بالسرقة، وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بين إخوتي ، وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ، ولا يفضحني ، كل ذلك ، لغزارة مروءته وكرم نفسه !

في الواقع ما فهمت قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) حق الفهم إلا بالتوسع في قراءة أحوال العرب في الجاهلية ، فهم وإن كانوا أمة ضئيلة العلم، ضعيفة الفلسفة والفنون، معدومة البنيان والتشييد، مقارنة بغيرها من الأمم في ذلك الوقت إلا أنها امتلكت في الغالب طباعا نادرة ، وفطرة سوية ، ومروءة عالية ، وشهامة قل نظيرها !

ولدوا في عمق الصحراء ، في بيئة قاحلة ، لم تعرف الأنهار ولا النباتات الخضراء فترق قلوبهم ، وتضطرب مشاعرهم ، ومع هذا كانوا أرق الناس قلوبا ، وأكثرهم شجاعة ، وأصدقهم في القول ، وأصبرهم على الفعل ، يموت الواحد منهم من العشق ولا تمس يده جسد من يحبها ، ويقدم روحه رخيصة في سبيل الدفاع عن أهله ، ولا يتردد في قتال من أراد النيل من جارته فضلا عن أمه وزوجته وابنته !

حتى وهو يعتمد السلب والنهب والإغارة في توفير قوته لم يعرف عنه كذبا ، ولا خيانة إلا في مواضع قليلة ، يراها الناظر تناقضا فجا ، ويراه المتأمل إيمانا ناقصا ، لو اكتمل لزين الدنيا كما تزين النجوم السماء ، وقد حصل ورأينا كيف كان المجتمع الأول في دولة الإسلام !

ما أحوجنا الآن إلى نماذج من عصر الجاهلية .. ما أحوجنا إلى (ابن الدغنة) المشرك وهو يثني أبا بكر عن عزمه على الخروج من مكة ، ويعرض عليه أن يكون في حمايته !! وما أحوجنا إلى نموذج أبي سفيان حين قال الصدق في حق النبي صلى الله عليه وسلم أمام هرقل عظيم الروم !وما أحوجنا إلى نموذج هند بنت عتبة التي أهدر النبي دمها ضمن أربع نسوة يوم فتح مكة لشدة عدائها للدين وللنبي والمؤمنين ومثلت بحمزة يوم أحد ومع ذلك تذكر لنا كتب السير كيف كان حرصها على مواساة السيدة فاطمة رضي الله عنها يوم الهجرة ، بل وتعرض عليها المساعدة !

(آفة التصنيف)

كان أمير الشعراء أحمد شوقي حريصا على إقامة الحفلات الأدبية والفنية داخل بيته بحضور البشوات وكبار رجال الدولة ، وذات مرة اتصل على أم كلثوم لتغني في ذلك الحفل ، وبعد أن انتهت ، قدم لها كأسا من الخمر ، وراقبها ، ومجاملة له وضعت الكأس على فمها وأنزلته دون أن يمس ثناياها ، فلم تكن الست تشرب الخمر أبدا!

إزاء ذلك المشهد أمسك شوقي قلمه وكتب واحدة من عيون الشعر الحديث ، جاء فيها:

سَلوا كؤوسَ الطِلا هل لامَسَتْ فاها

واسْتَخْبِروا الراحَ هل مَسَتْ ثناياها

وأعطاها لأم كلثوم لتغنيها في اليوم التالي ، فاتصلت على السنباطي ليلحنها ، وكان أول لحن للسنباطي مع أم كلثوم ، ثم توالت الأعمال..

لما قرأت وسمعت عن شوقي ، من الذين عاصروه كرياض السنباطي ، حار العقل في فهم شخصية أحمد شوقي على وجه الخصوص ، فالرجل لم يفارق كأس الخمر يده ، ومع ذلك ، من يتأمل قصائده يجد فيها قلبا مفعما بالإيمان ، واحتراما بالغا لأعدائه قبل أصدقائه ، محبا بل عاشقا لوطنه ، مقاوما للمحتل الإنجليزي في مصر ، والمحتل الفرنسي في بلاد الشام بقلمه..

فمن يكتب البائية ومطلعها:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

ومن يكتب الهمزية ومطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

ومن يكتب الميمية ومطلعها:

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

ومن يكتب رثاءً في صديقه الوفي زعيم مصر مصطفى كامل:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والدان، يا خادم الإسلام أجر مجاهد في الله من خلد ومن رضوان

من يكتب هذا لابد وأن يكون شيئا من الإيمان قد وقر في قلبه!

يدرك القارئ الحصيف المنصف أن إيجابيات الرجل كانت أكثر من سلبياته ، على الأقل في الظاهر ؛ فالذين فسقوا شوقي وأخرجوه من الملة توقفوا عند موقف الخمر في يده ، وبعض الأبيات التي كتبها بصيغة المبالغة ، ولم يلتفتوا إلى مجمل حياته وما أنجز فيها ، والذين سمعوا أشعار الرجل في مقاومة المحتل ظنوا أنه مقاوم من طراز فريد وغفلوا عن كونه محسوبا على القصر الملكي، والذين لم يروه إلا في مشهد المدح النبوي ظنوا أنهم أمام داعية صوفي لا يبرح ساحة المسجد!

لقد كنت يوما في صف هؤلاء الذين يحلو لهم أن يقيموا الناس بناءً على موقف عابر حتى جلس بجواري في أحد الأماكن رجل خمسيني ، وأخرج من جيبه علبة السجائر وشرع في التدخين ، وقبل أن تنتهي السيجارة تكون التالية قد اشتعلت ، فعم الدخان المكان، وقبل أن تبدأ الأفكار المشبعة بسوء الظن في العمل، كان موعد صلاة المغرب قد اقترب، فإذا بالرجل الذي انتهى من التدخين يأخذ زاوية من المكان ويشرع في أذكار المساء بصوت خافت يعكس ما في القلب من رقة واستحضار لجلال الله وقدره!

وبفعله هذا جعلني أردد الأذكار ، وفي ظني أنه لو لم يفعل ما فعلت لانشغالي بانتهاء أمر مهم!

فتأكدت أنه مهما تعثرت أقدام المسلمين في وحل المعاصي إلا أن الخير دفين في نفوسهم ، ومن ضمن أكبر المشكلات التي نعاني منها نظرتنا السلبية للناس وللمجتمع ، وتنصيب أنفسنا حكاما على الناس في حين لو كشف الله عنا ستره لافتضحنا جميعا..

*****

عندما عشق أحمد رامي (القلة)

كان الشاعر المصري الملهم (أحمد رامي) يمر صباحا على بيت من البيوت له بلكونة منخفضة ، ارتاح سكانه لوضع (قلة) تتلقى تيار الهواء البارد في زمن خلا من الثلاجات والكولدير ..

وكانت ربة البيت تضع على رأس (القلة) إيشاربا ، وهي قطعة من القماش تضعها المرأة المصرية على رأسها حتى لا يدخل في (القلة) غبار فضلا عن حشرة من الحشرات ..

تصور أحمد رامي أن هذه القلة ذات (الإيشارب) فتاة جالسة في البلكونة تنتظر كل يوم قدومه ، وما منعها أن تنظر إليه إلا حياؤها ، فازداد حبه لها ، وتعلق قبله بها ، وتصور أنه أخيرا وجد من يغرس في طريقه وردا ، ويضيء له قنديلا، فلم يشغل باله بالبحث عمن يطفئه !

وكان كلما مرة في ذات الموعد وجدها جالسة ، بنفس الوضعية التي تركها عليها في المرة السابقة ، فتيقن أن الفتاة تحبه كما يحبها ، فراح يبدع الأشعار التي غنتها السيدة أم كلثوم ، وكانت علامة فارقة في تاريخ الأغنية الرومانسية !

وفي يوم من الأيام ، وقبل أن يمعن النظر في جمال وانسيابية رأس الفتاة التي لا تتحرك حياءً من فتاها ، وجد ربة البيت تنتزع الإيشارب من أعلى (القلة) فاندفعت هرمونات الضغوط بعد تضخم جزء من القلب بشكل مؤقت لم

تتمكن عضلته من ضخ الدم بشكل طبيعي فأوشك على السقوط ، لولا عناية الله به ورحمته بقلبه الضعيف !

في الواقع ما وصل إلينا من إبداع لأحمد رامي كان نتيجة (ملكة التصور والقدرة العالية على التخيل) فقد تصور أن (قلة) تعشقه، كما تصور أن أم كلثوم مغرمة به لكنها تتمنع ، فراح ينشد فيها الأشعار المفعمة بعذوبة الكلمات ورقة الإحساس حتى تخطت أغانيه التي كتبها للست الـ(١٣٠) أغنية ..

حتى لما حصل الخلاف المشهور بينهما وانفجرت بوجهه أم كلثوم راح يهجوها بلسان المقهور وقلب المحب ، فقال كلمات بليغات جاء فيها

من أنتِ حتى تستبيحي كرامتي
فأهين فيك كرامتي ودموعي
وأبيتُ حرّان الجوانح صاديا
أصلى بنار الوجد بين ضلوعي

يقول آينشتاين (إن العلامة الحقيقية على الذكاء ليست المعرفة بل القدرة على التخيل) ومن قبله قال الأديب البريطاني جورج برنارد شو إن الخيال هو بداية الإبداع، إنك تتخيل ما ترغب فيه، وترغب فيما تتخيله، وأخيرا تصنع ما ترغب فيه..

صحيح أن بعض المفاهيم والتصورات الخاطئة قد تفضي بنا إلى نتائج كارثية ، وصحيح أن من يصدرون أحكاما مطلقة بعيدة عن الواقع لا تستحضر إلا أوهاما تكون نهايتهم وخيمة ، غير أن الخيال والتصور قد يكون الحل الوحيد لاسيما إذا رافقه نشاط نفسي إيجابي ينصهر في بوتقة العقل فيتفتق عن حالة الصهر إبداعا واستعدادا نفسيا لمواصلة المشوار ...

أطلقوا لخيالكم العنان ، وفكوا قيود تصوراتكم ، واحلموا بأن فطوركم بفندق (هاشمي) المطل على ساحة المسجد الأقصى ، وغدائكم بفندق (سيفين أرشز) الواقع أعلى قمة جبل الزيتون صاحب الإطلالة البانورامية .. فمهما كان السقوط مدويا فلن يكون في قسوة الظروف الحالية !

*****

بين (حاء) فايزة و(هاء) أم كلثوم

ذات مرة سُئِل الفنان محمد عبد الوهاب عن بعض الشخصيات الفنية ، وجاء الحديث عن الفنانة السورية فايزة أحمد ، فتوقفت عند قوله : إنها أفضل من نطق حرف (الحاء) ، فحاولت سماع الحرف منها ، فوجدت بالفعل عجبا لاسيما إن كان نطقها للحرف ضمن لفظة (الحب) ، فعندما تقول مثلا (ست الحبايب) تجد لكلمة الحبايب لذة، لاسيما حين تُتبع (الحاء) بالمد وتعطيه حقه ؛ فتشعر وكأن ينبوعا من الحب الصادق قد خرج من صدرها للأم !

ومن يتأمل حرف (الهاء) من السيدة أم كلثوم يجد أنها كانت مبدعة في نطق هذا الحرف ، ولهذا سعى كبار الملحنين مثل الشيخ زكريا أحمد لاستغلال هذا النطق الصحيح والإبداع الحقيقي في طريقة نطق الحرف في تقديم كؤوس من الخمر تسكر السامعين ، فلحن لها مثلا أغنية (الآهات) للشاعر العبقري محمود بيرم التونسي وجاء فيها صدرها آه آه آه آه آه ..

وكذلك خرج حرف (الهاء) معبرا عما يعتري القلب من لوعة في قصيدة الأطلال (آه من قيدك أدمى معصمي) وهكذا الحال في (آه يا سلام زاد وجدي آه) و (أه من لقاك في أول يوم ونظرتك لي بعنيك) ..لا يدري كثير من الناس أن النطق الصحيح للحروف يكسبها معاني إضافية بديعة ، ولا يدري البعض أن حروف المد ونطقها بشكل صحيح يلبس المنطوق زيا بهيا ..

ومثال ذلك قوله (فأما اليتيم فلا تقهر) فحرق القاف في (تقهر) من حروف القلقة ، وقلقة الحرف هنا تعطي ثقل في النطق وكأن فيها غلظة ، بما يعني الحذر من أن تظلم اليتيم ، على عكس حرف النون في قوله (تنهر) فهنا جاءت النون حرفا ناعما بما يعكس ضرورة اللين مع السائل ..

فلو تركنا الحروف وذهبنا إلى المد مثلا فإننا أمام نوعين من المد ، الأول وهو المد الطبيعي أو الأصلي وهو ما لا تقوم ذات الحرف إلا به ، ومقدار مده حركتان، ولا يجوز الزيادة أو النقصان عن الحركتين . مثل (إذا) فلو أطال المتكلم عن حركتين رأينا اعوجاجا في النطق ونفورا عند السامع ..

أما النوع الثاني وهو المد الفرعي وفيه أقسام ، منه مثلا (المد المتصل) ؛ وهو أن يأتي حرف المد والهمز بعده في كلمة واحدة ، ويمد خمس حركات.

ومثاله (إذا جاااااء نصر الله والفتح) فبإطالة المد لخمس حركات يستشعر السامع أن المجيء من بعيييد.. ومن ثم فالمد هنا بحركاته يعكس معنى المنطوق ..وكذلك لو تأملنا لفظة (الله) فإن حرف (اللام) فيها يأتي على أحوال ..الحالة الأولى أن يسبقه فتح أو ضم ، فينطلق بـــ(التفخـــــــيم) والحالة الثانية أن يسبقه كسر مثل (بالله) فينطق بـــ(الترقيـــــق) ..

وكأن المعنى إذا دخلت على الله من باب الانكسار فسيكون معك لينا كريما رقيقا ..

وهكذا الحال في كل الحروف وأنواع المدود ، والوقف والابتداء ، وغيره ..

فالحب أكبر من أن تلوث سمعته !

أحرص على الاستماع إلى معاناة الشباب كلما عدت إلى مصر في إجازة صيفية ، وكان من بين القصص التي آلامتني ولم تزل أحداثها تدور بخلدي رغم مرور وقت ليس بالقصير على حدوثها ، قصة ذلك الشاب الذي أعرف أخلاقه جيدا، ولما أحب فتاة وصارح أهله بذلك الحب امتعض الأهل ورفضوا ، كما رفض أهل البنت !

ورغم مقدرة الشاب على الزواج بنظرة المنطق لا من منطلق النظرة المادية التي سيطرت على عقول الناس ، ورغم حب البنت له ، ورغم مصارحة كل طرف لأهله إلا أن الرفض والصد كان سيد الموقف باعتبار اشتهار قصة حبهما ، ولما هدد الشاب أهله بالانتحار ، انطلقوا يبحثون عمن يقنعه بالعدول عن رأيه !

قصة طويلة كنت قريبا منها ، واطلعت على خباياها ، فساءني ما عاينت منها ، وساءني أن الجاهلية لا زالت ساكنة فينا !

ما ذكرني بهذه القصة التي لا يخلو منها حي، وقرية من قرى المحروسة أني كنت أستمع صباحا إلى واحدة من عيون الشعر العربي لـ(توبة بن الحمير) عاشق (ليلى الأخيلية) ..

رغم أن اسمه (توبة) لكنه لم يتب عن حب ليلى الأخيلية ، ابنة عمه ، رغم الصعاب الكثيرة التي واجهت قصة حبهما ..

(توبة بن الحمير) .. واحد من الشعراء الأفذاذ الذين عاشوا في كنف الدولة الأموية ، أحب ابنة عمه ليلى حبا ملك عليه حياته ، وكانت هي الأخرى شاعرة فصيحة بليغة لم يتفوق عليها في الشعر سوى الخنساء ، وهي مع ذلك ذات جمال خُلقي وخلقي !

تقدم توبة إلى عمه والد ليلى ليخطبها ، فرفض ، توسل إليه بكل السبل فلم يجد إلا صدودا ، كما كان يفعل أهل الجاهلية إذا اشتهر بينهم قصة حب !

وما هي إلا أيام وزوجها أبوها من رجل غريب من قبيلة أخرى ، غير أن الفتى لم يقدر على منع نفسه من أن يزور ليلى رغم أنها متزوجة !

شكاه قومها إلى قومه فلم يمتنع ، فشكوه إلى الخليفة ، فأهدر دمه !

في هذه الأثناء وبينما كان القوم يستعدون لعمل مصيدة لتوبة في طريقه الذي سيغادر منه بعد رؤية ليلى، خرجت ليلى من مخبأها على غير عادتها سافرة الوجه، إذ كانت تقابله في المرات السابقة متبرقعة ، ففهم أن هناك أمر ، ففر !

بعد هذه الحادثة قال قصيدة من عيون الشعر ..وما هي إلا أيام قليلة وقتل ، وذهب جمال ليلى وأضحت عاجزة عجوز ، فلقد دخلت على الخليفة عبد الملك بن مروان بعدما دبل وجهها ، وقال لها :

ما الذي رآه فيك توبة حتى يحبك كل هذا الحب ؟

فردت عليه : الذي رآه الناس فيك حتى يولوك الخلافة !

ذات مرة وهي مسافرة مع زوجها طلبت أن تزور قبر توبة ، فرفض زوجها ، وتحت إلحاح قبل ..

ولما وقفت على قبره تذكرت أبياتا من الشعر لتوبة جاء فيها :

ولـو أنَّ لـيلى الأخيليةَ سَلّمت

عـلـيَّ ودونـي جَنْدلٌ وصفائحُ

لـسـلمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا

إليها صدىً من جانبِ القَبر صائحُ

فلما سلمت قالت في نفسها : والله إنه لصادق ، فما باله لا يرد علي السلام !

وفي لحظة الحديث انبعث طائر في الجو فخاف الخيل الذي يحملها فسقطت فماتت ، ودفنت بجوار توبة !

الشاهد :

بالطبع لا أحث الشباب على الحب والمغامرات بقدر ما أحث الأهل على تفهم ظروف الشباب ، وتلمس احتياجاتهم .

المحب بحق لا يفكر في إيذاء من يحب ، فلا يفتنها ، ولا يغمس سمعتها فضلا عن سمعة أهلها في الوحل ، وما جذبني في قصة توبة وليلى ، ما حصل من حوار بين الحجاج بن يوسف وليلى ، فقد سألها يوما : هل دار بينكما شيء ؟ فقالت : لا والذي أسأله أن يصلحك !

إذا كنت بحب فلا تعلن عن حبك فضلا عن أن تأخذ خطوة إلا إذا كنت مستعد ماديا ، ومعنويا .

حاول أن تفرق بين الحب والإعجاب والنزوة والتقدير وما إلى ذلك من مصطلحات ، فالحب أكبر من أن تلوث سمعته !

*****

لا تبالغ

أراد الناس قديما أن يعظموا رجالا كانت لهم مكانة عالية في مجتمعاتهم ، فعبدوهم من دون الله !

وأراد أتباع المذهب الحنفي أن يعظموا من قدر الإمام أبي حنيفة في نفوس الناس عامة ونفوس المجادلين له والمحاربين لمنهجه، فادعوا أنه صلى الفجر أربعين سنة بوضوء العشاء .. ونسوا أن ذلك غير منطقي بالمرة ..

وأراد أتباع شيخ الإسلام ابن تيمية أن يعظموا قدر الرجل في العلم ، فادعوا أنه استخرج سبعين خطأ من كتاب سيبويه الذي يفصله عن ابن تيمية عدة قرون ، ونسوا أن سيبويه الرجل الأول في صنعته ، ومات قبل شيوخه الذين وضعوا قوانين علم (النحو) كالخليل بن أحمد وحماد البصري وغيرهم ولو كان أحد مكتشفا خطأ فالأولى أن يكون في حزمة العلماء الذين وضعوا أسس العلم، وإلا لكان سبة في جبين العلم والعلماء أن يكون هناك أخطاء بهذه الكثرة ومرت على مئات بل آلاف العلماء الذين أخذ عنهم ابن تيمية نفسه العلم !

وتريد الأم أن تكيد جارتها فتردد في كل مجلس أن ابنتها أجمل الجميلات، وأنعم الناعمات ، وسيدة البنات ، في حين أن الناس يرون ابنتها في غدوها ورواحها ولن يكون بمقدور أحد أن يثنيهم عن الحكم الذي يختارونه في ابنتها !

لا تأت المبالغة في الأقوال والأفعال والمشاعر بخير ، وما الذين لا يفارقهم الإحباط وخيبات الأمل والحزن المستمر إلا لأنهم مبالغون في مشاعرهم ، إن أحبوا أحبوا بقوة ، وإن كرهوا كرهوا بحدة ، لم يتأملوا في هذا الحديث النبوي يوما أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما ، ليقوا أنفسهم من مغبة الوقوع في قاع الندم !

إن أخطر ما في المبالغة أنها تدفع أصحابها لتبني تصورات مغلوطة ، لأنها في الأصل أسست على قواعد مهترئة ، ومن ثم يأتي التعاطي مع الآخرين مشوبا بالخلل ، والفشل !

ما بين الخوف الشديد على الأبناء وعلى مستقبلهم وما بين اللامبالاة التي تعكس خلو أصحابها من أي نزعة إنسانية تعيش ملايين الأسر المصرية ، تظهر تجليات هذا الإفراط وذاك التفريط في انهيار البيوت ، وانتحار الأبناء ، وتشرد الأطفال ، وغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى .

وأصل داء المبالغة نابع من البيت ابتداءً ، مرورا بالمدرسة ، وصولا لعموم التفكير الاجتماعي ، ذلك لأننا في داخل بيوتنا نتعامل مع الأطفال بأساليب غير سوية في المواقف المختلفة ؛ أساليب تفتقر لتنمية القدرات الذاتية التي تعزز ثقة النشء بنفسه ، بما يساهم في تخفيض حدة المشاعر السلبية، كما وأننا في المجمل لا نحسن ضبط مسألة الثواب والعقاب، ومسألة الاستشهادات

بالنماذج التي ترسخ في أذهانهم أن الدنيا خالية من العيوب والمشكلات، وحينما يخرجون إلى الشارع ويشرعون مجبرين في التعامل مع كل البشر لا يتوقفون عن إبداء الاستغراب وعلامات التعجب !

أقول هذا ولا أعفي نفسي من المبالغة أحيانا في مشاعري وأقوالي وأفعالي ، ومن ثم فلم أكتب من باب التنظير أو المثالية ، لكن ربما تأتي الكلمات في إطار من رأى من نفسه ضعفا ، فأحب ألا يراه في الآخرين !

*****

لذا فالعلماء كثير ، والفقهاء قليل !

قرر ملك (الحيرة) عمرو بن هند أن يقيم مأدبة غداء لعمرو بن كلثوم وطلب منه أن يأتي بأمه بنت المهلهل ، وعمها كليب مالك العرب ، وزوجها كلثوم سيد قومه ، وذلك لكي تتعرف على هند أم الملك ، وطلب الملك من أمه قبل دخول أم عمرو بن كلثوم أن تخرج الخدم من خيمتها ، ولما فرغتا من الغداء طلبت أم الملك من أم عمرو بن كلثوم أن تناولها طبقا ، فأبت أم عمرو وقالت لها فلتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ، ثم كررت عليها الطلب : قلت لك ناوليني الطبق !

هنا صرخت أم عمرو بن كلثوم من داخل الخيمة حتى سمع من في الخارج صوتها وهي تقول : وا ذلاه .. يا لتغلب !

فنهض عمرو بن كلثوم وأسرع نحو سيف الملك المعلق وضرب رأس الملك عمرو بن هند وأخذ أمه وعاد إلى بيته !

بعد هذه الحادثة بعدة عقود ، خرج والي مكة نافع بن الحارث رضي الله عنه يستقبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بمنطقة عسفان، وأول ما لقيه عمر سأله : من استخلفت على مكة من بعدك ؟

فقال نافع : ابن أبزى ، فلم يعرفه عمر، وهو السفير السابق لقريش ومن المفترض أنه يعرف كل بيت في مكة ، فقال له عمر : ومن ابن أبزى هذا ؟ فقال له نافع : مولى من موالينا !

فتعجب عمر رضي الله عنه من تصرف نافع وسأله:

أستخلفت عليهم مولى؟؟؟

والمولى قد يكون عبدا ثم أعتق ، أو أن أمه كانت أمة ..

فبادره نافع قائلا : إنه قارئ لكتاب الله وعالم بالفرائض ، فقال عمر : سمعت نبيكم يقول إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين !

يبقى السؤال : لماذا تعجب عمر ، ألا يعرف أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ؟

هل بقى في جعبة عمر شيء من الجاهلية وهو خليفة المسلمين ؟

في الواقع خرج من هذا الحديث أصحاب الفقه بأحكام ومنها : مشروعية أن يولى المولى على الأحرار إذا كان عالما بالفرائض .

وخرج علماء التزكية بأحكام ومنها أن الله يرفع بالقرأن من حفظه وعمل به وهكذا الأمر في كل باب من أبواب العلم والأخلاق والسلوك .

وخرج قلة قليلة من العلماء الذين فقهوا الدين ، وأحسنوا تنزيل نصوصه على الواقع بقواعد حاكمة من هذا الحديث وغيره قدوتهم في هذا الأمر رسولهم صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب الفقيه الحصيف ..

فتعجب عمر هنا في الحديث لم يكن تعجب من يميز بين عباد الله المؤمنين ، فقد كان علما في التواضع ، وحجة في الأخلاق ، غير أنه امتلك فهما عاليا بمسألة لا يتقنها إلا قلة ، ألا وهي (معرفة الواجب وفهم النصوص وحسن تنزيلها على أرض الواقع) مراعيا للمقامات ، متفهما لنفسيات الناس ، عارفا بمداخلهم ، مدركا لمفاتيح قلوبهم ..

يعلم عمر أن المسلمين في مكة أو غيرها كانوا حديث عهد بجاهلية كان العربي فيها يأنف من أن يأمره ملك من الملوك فضلا عن شريف من شرفاء قومه ، إذ كان العربي حرا ، منفلتا من أي قوانين إلا ما تمليه عليه قوانين القبيلة ، فكيف به وهو يرى مولى من موالى العرب يأمره وينهاه !

كثيرون من يحفظون النصوص ، ويعلمون الأحكام ، وقليلون هم من يحسنون تنزيل تلك النصوص والأحكام على أرض الواقع !

لذا فالعلماء كثير ، والفقهاء قليل !

*****

أبوك بيشتغل إيه يا بني ؟!

كان هذا السؤال الأكثر استفزازا لنا أبناء المرحلة الابتدائية على وجه الخصوص، إذ كان غالب أولياء أمورنا من البسطاء، والفقراء، الذين لم تسعفهم الظروف للحصول على شهادات ووظائف مرموقة !

ورغم أننا نشبه بعضا إلى حد كبير إلا أن السؤال في حد ذاته كان يتسبب لنا في أذى نفسي ، يتجدد بتجدد السؤال .. المستفز !

على كل حال كان السؤال وغيره من الأسئلة التي تدور حوله انعكاسا لغياب الحس التربوي عند كثير من المعلمين، وترجمة للواقع العنصري المزري وحاضرنا الذي لا ينفك عن تقدير الشخص بناء على حسبه ونسبه وماله ، لا بجده واجتهاده وإنجازاته !

كلما ذهبت بي الذاكرة إلى هذا السؤال، وكلما لمحت مظهرا من مظاهر العنصرية المجتمعية انطرح هذا السؤال في خلدي : ماذا لو كان الأب وضيعا ، فقيرا ، معدما؟ وماذا لو كانت الأم غير سوية؟ وماذا لو كانت العائلة من العائلات الوضيعة؟ ما تأثير ذلك على نفسية الطفل ، ونمط تعاطيه في المجتمع ؟!

كنت أقرأ عن (جرير) ذلك الشاعر الأموي الفصيح العبقري ، وأتأمل في كمية العنصرية التي يمارسها ضده (الفرزدق) على اعتبار أن جرير ولد في مجتمع لا يحسن إلا الفخر بالأنساب لأب وضيع ، بخيل، به من صفات النقص ما تأنف

منه النفس السوية ، على خلاف (الفرزدق) الذي ولد لأب رفيع وعائلة عالية المقام حسبا ونسبا ..

وفي وسط التأمل انصب تركيزي على نمط تعاطي (جرير) مع نفسه ، ومع المجتمع ، فلاحظت أن الرجل كان يتمتع بقوة نفسية خارقة ، لم تمنعه من الاعتزاز بنفسه، ومقارعة الخصوم لاسيما الفرزدق والأخطل اعتمادا على امتلاك أدوات وقدرات شخصية ، على عكس كثير من الناس ، يشعرون دوما أن القدر ظلمهم ، وما هم إلا ضحية للظروف .. فيسكنون ويخفت صوتهم للأبد !

ولقد أعجبت به حين سأله سائل : من أشعر الناس ؟

فأخذه من يده وذهب به إلى بيته ، وأدخله على أبيه وكان نائما تحت بطن عنز يسترضع منها ، فقال جرير للسائل : أتبصر هذا ؟

قال: نعم، قال: أتعرفه ؟

قال: لا، قال: هذا أبي، وإنما يشرب من ضرع العنز لئلا يحلبها فيسمع جيرانه حس الحلب فيطلبوا منه لبنا، فأشعر الناس من فاخر بهذا ثمانين شاعرا فغلبهم ..

وتذكرت كيف صنع (المتنبي) مجده الشخصي ، يدخل على الملوك وقتما يشاء ، في حين أنه لم يُعلم شيء عن أبيه أو أمه سوى أن والده كان يحمل الماء متجولا يسقي الناس بأجر، وتذكرت كيف صنع الآلاف من العظماء مجدهم

وحياتهم ..جميل أن يذهب الخطاب الديني إلى مثل هذه النقاط المحورية في بناء الشخصية السوية، وجميل أن يتجه الإعلام والدراما لتسليط الضوء على النماذج العصامية بعيدا عن تعزيز فكرة الحسب والنسب والوصولية ..

وأذكر هنا أن عبقرية مسلسل (لن أعيش في جلباب أبي) ليست في وجود العبقري نور الشريف وفقط ، ولا عبلة كامل وفقط ، بل في القيمة التي طرحها إحسان عبد القدوس وترجمها المخرج أحمد توفيق ، وتسربت إلى المشاهد خلسة، وهي قيمة (العصامية) التي جسدها نور الشريف بالاستناد إلى منطلقات قيمية ، حقيقية ..فالرجل بدأ فقيرا معدما ، جاهلا لكنه كان يقدر العلم جدا ، ومؤمن بأهميته ، وتجلى ذلك في حرصه على تعليم أولاده جميعا ، والرجل امتلك الطموح وحدد الهدف وسعى لإنجازه ، والأهم من ذلك أنه كان تاجر خردة ، ومقاولات، وعقارات و(صناعة) وكثيرة هي المرات التي رأينا مشاهد من داخل مصنع الحديد والصلب ، ورأينا اللقطة العبقرية في نهاية المسلسل وهو يعلن عن الشروع في إنشاء مصنع آخر للحديد والصلب بما يعكس لدى المشاهد حقيقة الثراء ، وكيف أنه تأسس على جهد حقيقي بعيدا عن الثراء المنبثق من رأسمالية فاحشة تترعرع على الفهلوة والنصب والكسب غير معلوم المصدر .. فقدم للمجتمع نموذجا مثاليا للإنسان الذي لم يتحجج بالظروف ، فأفاد نفسه وأفاد مجتمعه !

*****

دروس من الأدب الجاهلي

في مثل هذه الأوقات التي يحاول الحزن أن يعلو فيها على ما تبقى من أجزاء فرح متهالكة تبحث النفس عن مستقر لها فتجد في (الأدب) سلوى ، لا من منطلق حب في اللغة العربية وفقط ، وليس هروبا من الواقع بقدر ما أن الأدب قديما وحديثا ينظر إلى الظواهر الإنسانية من كل جوانبها ، فلا يراها من زاوية أحادية ، بل بانورامية بالتأكيد !

اطلعت صباح اليوم على حادثة مشهورة بين العرب في الجاهلية فيها من الدروس والعبر الكثير والكثير ، تتعلق بالمحكمة التي كانت في حضرة الملك عمرو بن هند بين قبيلتي (تغلب) و(بكر) ، وهما القبيلتان اللتان وقعت بينهما حرب (البسوس) التي استمرت (٤٠) سنة !

انتهت الحرب في الميدان ولم تنته في النفوس ، وما أسوأ أن تظل النفوس مشتعلة بالغضب والحقد طويلا !

ذهب جمع قوامه (٧٠) رجلا من قبلية (تغلب) إلى ديار قبيلة (بكر) يطلبون منهم الماء للسقيا ، فرفض البكريون ، فمات التغلبيون عطشا، فملأ الغيظ قلوبهم ، وقرروا الحرب مرة أخرى !

غير أن العقلاء في كلا الجانبين كرهوا أن تقوم الحرب مرة أخرى، وأشاورا عليهم بالاحتكام إلى الملك عمرو بن هند ..

قبل أن يقبل عمرو بن هند بالحكم بينهما طلب أن يبقى عنده (٧٠) رجلا من أشراف (بكر) حتى إذا كان الحق مع (تغلب) أرسل إليهم بهؤلاء السبعين ليقتصوا منهم ، وإن كان الحق مع (بكر) أرجعهم إليهم مرة أخرى ..

انتدب (التغلبيون) عمرو بن كلثوم ليتكلم باسمهم ، وانتدب (البكريون) الحارث بن حلزة لذات الغرض ، ورغم أن الملك عمرو بن هند يحب عمرو بن كلثوم إلا أن الأخير لم يرع للملك حرمة ، فراح يزايد في المدح لقبيلته ، ويتناثر الطيش من كلامه ، والوعيد من عباراته ، والتهديد من أبياته ، واصفا بأس أجداده في الحروب ، وشجاعة قومه في النزال ، مانحا قبيلته تغلب السلطة المطلقة على مصائر الناس ، فهم المطعمون ، وهم المهلكون ، وهم التاركون ، والأخذون والشاربون الماء صفوا وغيرهم يشرب كدرا وطينا ..

على أن أكثر بيت مفعم بالطيش والخيلاء وسوء الأدب مع الملك هذا البيت الذي يقول فيه عمرو :

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

يعني الرجل ارتضي هو وقومه أن يحتكموا إلى الملك فإذا هو يعلنها صريحة أنهم ما فلحوا في شيء كفلاحهم في عصيان الملوك .. فلماذا إذن حضرتم بين يديه للحكم بينكم ؟!

بالطبع بعد هذه القصيدة المليئة بالفخر والخيلاء والمفعمة بالعجب والغرور في حضرة الملك نجح عمرو بن كلثوم في إفساد قضيته ..

على الجانب الآخر وقف متحدث (بكر) الحارث بن حلزة صاحب المعلقة المشهورة ، يمدح في الملك ، ويثني عليه ، ويقر بخطأ قبيلته التي رفضت أن تعطي الماء للسبعين رجلا من بني تغل ، غير أن المنطق يقتضي ألا يؤخذ الجميع بجريرة البعض، فلان قلب الملك الذي يحب تغلب وشاعرهم عمرو بن كلثوم، ويكره بكر لدرجة أنه طرد متحدثهم الأول النعمان بن هرم الذي أوكلت له المهمة قبل الحارث بن حلزة ، وقرر عمرو بن هند أن يفك قيد السبعين ويعودوا إلى ديارهم ، وخسرت تغلب القضية رغم أن الحق كل الحق معهم !المفارقة هنا أن عمرو بن كلثوم في هذه الحادثة كان شاب يافعا ، مفوها ، فارسا، بليغا ، غلبت عليه الحماسة ومعه الحق في قضيته، ومقربا من الملك الذي يحكم بينه وبين خصمه ، وكان الحارث بن حلزة مريضا بالبرص، وعمره تجاوز الـ(١٣٥) سنة ، غير أن مرضه ، وشيبته ، وخطأ قومه الشنيع لم يمنعه من أن يكسب القضية ، بحكمته وفطنته ، وإدراكه بمداخل الكلام ومخارجه ، والإقرار بالذنب ، والاعتذار لمن أخطأ في حقه ، فتفوقت حكمة الشيوخ على حماسة الشباب في هذا الموقف !

من الناس من يملك الحق ، فيجعل من هذا الأمر متكأ لسب الآخرين والانتقاص منهم بأسلوب فيه تجاوز ، فتضيع قضيته وتخسر ..

ليس شرطا أن يكون الحق معك لتفوز بالأخير ، بل يجب أن يكون مع الحق الذي تنادي به جمال بيان ، وحسن أخلاق ، وقوة منطق وإقناع !

دروس في السياسة والإدارة

لما أيقن سيدنا خالد بن الوليد بتفوق جيش المسلمين على جيوش الفرس والروم ، وأن الأمور تمضي على ما يرام ، تسلل خفية من مقدمة الجيش إلى مؤخرته ، ومن مؤخرته إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة ليحج ..

ولقد قرر أن يذهب سرا حتى لا يصل الخبر لجيش الأعداء فتقوى شوكتهم .

ورغم أن الرجل حقق انتصارات شهد له الصديق قبل العدو، ورغم أنه ذاهب لبيت الله الحرام تلبية للشوق الذي يعتري قلبه ، ورغم أن أحدا لم يلحظ غيابه ، فقد ذهب وعاد مسرعا دون أدنى ملاحظة على وضعية الجيشين إلا أن خليفة المسلمين سيدنا الصديق لما علم بذلك عنفه وقال له بحزم : إياك أن تعود لمثل ما فعلت !

في هذا الموقف دروس وعبر مواعظ أكثر من أن تحصى .. من أبرزها :

- لا يجب أن يعلو صوت العسكري على السياسي مهما حقق من انتصارات وإنجازات .
- لا قيمة للمؤسسة أو الشركة أو الحزب أو الجمعية إلا بتطبيق قيم المحاسبة والمراجعة على كل المنتسبين إليها صغارا وكبارا ، قدامى وجدد ، حققوا إنجازات أم لم يحققوا ..

- عدم الاستماع إلى صوت الغضب ، وتطبيق النظرة العادلة في تقييم الأمور دون غمط حقوق المذنبين أو المقصرين ، إذ لما نصح سيدنا عمر أن يتم عزل سيدنا خالد لأنه قرر الذهاب إلى الحج دون استئذان ، رد عليه الصديق بقوله : والله لأُنسينَّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، والله لا أشيم سيفًا سلَّه الله على الكفار .

- لا مانع بعد عملية التقييم والتقويم والمحاسبة من الإقرار بعظمة المذنب وحسن فعله ورفع معنوياته ليواصل المسير بجد وعزم ، فلقد قال له سيدنا الصديق : فليهنئك أبا سليمان النية والخطوة، فأتم يتمم اللهّ عليك !

*****

خذ العفو !

في أكتوبر عام ١٩٩٩ شهدت منطقة خيطان بالكويت أعمال شغب واسعة ، راح ضحيتها العديد من أفراد الجالية المصرية والبنغالية ..

بدأت فصول القصة حينما دخل رجل من صعيد مصر إحدى المحلات لشراء صحن ، ولما هم بدفع الحساب سقط الصحن من يده فانفلق نصفين ، فعنفه البنغالي الواقف على الكاشير واصفا إيه بالحمار !

سمع صاحبنا كلمة حمار فاندفع الدم في رأسه ولطم البنغالي لطمة خرج النور من عينيه على إثرها ..

استدعى البنغالي أبناء قومه وعشيرته وتوجهوا لصاحبنا وضربوه ضربا مبرحا، فقام هو الآخر باستدعاء أبناء عمومته وتوسع العراك حتى اجتمع في شوارع الحي آلاف من كلا الجاليتين ..

تقول بعض الأرقام اجتمع في منطقة العراك ما يقرب من ٣٠٠ ألف مابين مواطنين ومصريين وبنغالة ، بعضهم مشتبك وبعضهم يشاهد وبعضهم يحاول فض الاشتباك !

لم تخمد المعركة إلا بعد أربعة أيام مخلفة عدد كبير من الجرحى والمعتقلين، فضلا عن خسائر في الأرواح والممتلكات، وكادت العلاقات الرسمية بين مصر

والكويت أن تدخل في نفق مظلم لولا تدخل وزير الخارجية وقتها عمرو موسى ، وسرعة استجابة عاطف عبيد رئيس الوزراء لحلحلة الأوضاع .

كان من أبرز نتائج ذلك الأمر شروع حكومات دول الخليج في سن قوانين متعلقة بتنظيم التركيبة السكانية ، كان لها لاحقا بعض الآثار السلبية على بعض الشعوب .. ومنها مصر !

بعيدا عن هذه القصة الملهمة ، أتصور أن الجميع يقر بأن غالبية المشكلات والكوارث الكبيرة تبدأ من أمور تافهة، لم ينجح الطرفان أو أحدهما في محاصرتها بالعفو ، وملاحقتها بالصفح ، ووأدها بالإحسان !

والناظر يرى كم من زيجات فشلت لأبسط الأسباب ، وكم من علاقات تدمرت لأن كل طرف قرر ألا يعفو ويتغافل .

في الواقع لم يكن سيدنا عبد الله بن مسعود ضعيفا حين شتمه أحدهم ، بل كان قادرا أن يرد عليه ، لكنه علمنا درسا في الصفح والإحسان حين رفع يده بالدعاء قائلا : اللهم إن كان في ما يقول فاغفر لي ، وإن لك يكن في ما يقول فاغفر له !

ولم يكن سيدنا سلمة بن دينار، إمام المدينة وشيخها، والملقب بأبي حازم ضعيفا، أو ناقص الرجولة حين تمالك نفسه أمام اليهودي الذي سأله وهو مصطحب كلبه : يا أبا حازم لحيتك أطهر أم ذيل كلبي هذا ؟

ويرد عليه بكل هدوء : إن كنت من أهل الجنة فلحيتي أطهر من ذيل كلبك ، وإن كنت من أهل النار فذيل كلبك أطهر من لحيتي !

أي جرم فعله إخوتك بك كي تقرر مقاطعتهم أبدا ؟ هل رموك في الجب ، هل تسببوا في بيعك بدراهم معدودة ؟

لماذا لا تعفو وتقتدي بسيدنا يوسف .. فلما عرف إخوته ولم يعرفوه قالوا بحضرته عن أخيهم : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ، فأسرها يوسف في نفسه ، ولما عرفوا أنه يوسف بادرهم بقوله : لا تثريب عليكم !

إن العفو ، المصطحب للتغافل ليعكس في المرء إيمانا كاملا ، وعقلا راجحا ، ورجولة كاملة غير منقوصة .. فاكظموا غيظكم ، واعفوا عن الناس ما استطعتم إلى ذلك سبيلا ..

*****

لا تيأس !

كان أهل منطقته يسخرون منه ومن صوته ، لدرجة أن شبهوا صوته بصوت الضفدع ، لكنه لم ييأس أو يتأثر ، وربما تأثر لكنه قرر أن يبدو للناس متماسكا ، كعادة الأقوياء من حولنا ، وجعل من تلك السخرية دافعا له نحو التميز والنجاح .. ويأتي اليوم الذي يصبح فيه (لاري كينج) أشهر مذيع في تاريخ الإعلام بعد حياة حافلة بالإنجازات ، ليصفه الرئيس الأمريكي باراك أوباما بالعملاق !

أتدرون من هو لاري كينج ؟

إنه صاحب أطول برنامج حواري في موسوعة جينيس ، ومن أوائل من قدم برنامجا باسمه (لاري كينج لايف).

الرجل الذي قام بـ(٥٠) ألف مقابلة ، وآلاف الحلقات الحوارية على قناة "سي إن إن" ..

الرجل الذي قابل عددا كبيرا من أهم الرؤساء والمسؤولين في العالم، منهم: جورج بوش، توني بلير، ميخائيل جورباتشوف، جون كينيدي، ريتشارد نيكسون، أحمدي نجاد، فلاديمير بوتين ، القذافي ، الملك عبد الله بن الحسين ، ومالكوم إكس . أول من جمع الراحل ياسر عرفات وإسحق رابين وملك

الأردن الراحل الحسين بن طلال في مواجهة إعلامية حول (السلام) في الشرق الأوسط عام ١٩٩٥.

بدأ (لاري كينج) حياته بائعا للصحف في إشارات المرور رغم الحلم الذي كان يراوده بأن يصبح مذيعا مشهورا يوما ما ، ولما أعلنت إحدى الشبكات الإذاعية عن حاجتها لعمال نظافة بادر وقدم نفسه للوظيفة ، وكله طموح ورغبة في تحقيق النجاح ، حالفه الحظ وغاب مذيع النشرة ، فاستعار بدلة وقام هو بإذاعة نشرة الأخبار بصوته الأجش ، وإمكاناته الإعلامية الكبيرة ، فلفت الأنظار ، ما جعل مدير الشبكة يرقيه من عامل نظافة إلى مذيع !

يدرك الإعلاميون تحديدا والمهتمون بمتابعة لاري كينج أنه تميز بأسلوب رشيق في طرح الأسئلة على الضيوف وفهم عميق لطبيعة الشخصيات التي يقابلها ..

هذا الرجل ولد يهوديا ، ومات لا أدرية ، و(اللا أدرية) توجه فلسفي يعتقد بأن ثمة غموض يكتنف الذات الإلهية ، لم يكمل تعليمه وأصبح علم من أعلام الإعلام والعمل الاجتماعي في أمريكا وخارجها !

في ذات السياق حاولت مؤخرا ، الوقوف على ملامح شخصية الممثل (محمد رمضان) التي لطالما استفزتني كثيرا لما تركته من تأثير سلبي كبير في سلوكيات الشباب ، فقمت بمتابعة كثير من اللقاءات التي كان ضيفا فيها ، فرأيت جوانب يفتقر إليها كثير من دعاة الإصلاح والقيم والمثل العليا ..

أكثر جملتين وقفت عليهما لـ(الأسطورة) كما يلقب (أنا كنت بقطع صور السيارات الفخمة من المجلات وأضعها على جدران غرفتي ولدي إيمان قوي بأنني سأمتلك كل هذه السيارات يوما ما) وجملة (وقفت أنا وصديق لي وليس في جيبي قرش واحد ، فقال لي ما نفسكش تركب السيارة دي ، وأشار بيده إلى سيارة (بي إم دبليو) فقلت له : لا ، السيارة دي راكبها ناس كتير ، أنا هركب سيارة ماحدش ركبها في مصر قبل كدا) !

أتصور أن الطموح الذي لا يخالطه فتور هو التحدي الأكبر لنا في هذه الحياة ، ومما يدمي القلب حقيقة أن يعبأ أنصار القضايا الحقة بالشوك الذي يدمي الأقدام ، ولا يعبأ به دعاة الإجرام ..

النجاح كامن فينا وفي دواخلنا ونملك وسائله ، لكن الإشكالية تكمن في نقطة البداية والانطلاقة الأولى .. التي لا يرافقها إلا تثبيط وتكسير مجاديف في الغالب !

من خلال وقوفي على أكثر من حالة حققت نجاحا مدويا بغض النظر عن القيم التي تقدمها لاحظت أن الطموح كان يملؤهم، والتحفيز كان يدفعهم ؛ فالشخصية الأولى لاقت تحفيزا من مدير القناة الذي لم يتردد في تعيين عامل نظافة مذيعا طالما رأى فيه الإمكانات اللازمة ، والشخصية الثانية لاقت تحفيزا من فنان مشهور (سعيد صالح) وقدمه على المسرح، ولاقت مدحا كبيرا من فنان عالمي (عمر الشريف) فانطلق يصنع مجده الشخصي ..

الفرق بين هاتين الشخصيتين وغيرهما من الشخصيات الأخرى التي حققت نجاحا كبيرا وصنعت لنفسها تاريخا ، وسجلت أسمائها في صفحاته على الرغم من انحراف القيم التي يدعون إليها ، وبين الشخصيات التي ما برحت مكانها أنهم امتلكوا الطموح ، ووجدوا من يحفزهم ، ولم يجدوا من يقول لهم يا أخي : كن واقعيا ، لا تكن مثاليا ، وبطل فزلكة ، عش كما يعيش الناس .. لا تتمرد على حياتك وواقعك .. بمعنى آخر : كن مدمّرا !

*****

ماذا تصنع الوعود المبالغ فيها ؟!

بعض الرجال يعمد في حديثه إلى المبالغة في وعود ذكورية هي أقرب للمستحيل من الممكن ، ولا يدري أنه بذلك يجعل حياة البنت أو المرأة عصية على التأقلم مع واقعها ومستقبلها ، كما كانت في السابق ، لأنه نجح في سلب قوتها ، وقتل روحها !

نعم .. الوعود المبالغ فيها تقتل الجسد ، وتنهك الروح ، وتحبط القلب ، في حين أنها لا داعي لها في الأصل ، إذ أن كل ما تحتاجه الفتاة في فترة خطبتها مثلا اطمئنان وتقدير واحترام ، يتبعهم مودة ، وعدم ظلم !

وقد ترى إحداهن متمسكة بتلابيب الحياة ، تقاوم في زحمة الحياة ولأوائها ، تبدو للناس نشيطة ، قلبها مفعم بالحياة ، وهي من الداخل منهكة ، لكنها تقاوم ، وتقاوم ، تخشى السقوط ، بيد أنها بشكل أو بآخر ونتيجة لوعود حنجورية تسقط سقوطا مدويا ، لا تقوى بعده على وقوف ، تأبى روحها الرجوع إلى سابق عهدها !

قرأت ذات مرة أن رجلا ثريا لاحظ وهو عائد إلى قصره في ساعة متأخرة أن حارسه يرتعد من البرد ، فسأله : ألا تشعر بالبرد ؟!

فرد عليه الحارس بلي .. أشعر بالبرد ولكني لا أملك ثوبا آخر !

فوعده صاحب القصر بأنه سوف يأتيه بثياب ثقيلة وعليه أن ينتظر لدقائق فقط ..

دخل صاحبنا قصره وترك الحارس في الخارج ينتظر .. وينتظر ..

نسي صاحبنا أنه وعد الرجل خارج البيت ، وغط في النوم ، وفي الصباح وجد الحارس ميتا !

لقد كان الحارس يستقوى على الظروف ، غير أن الوعود سلبت منه منه قوته .. وقتله !

*****

لا تكن مثاليا

بإمكاني أن أصور لك أن صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه ، ومحمد الفاتح رضي الله عنه ، ومحمد بن أبي عامر ، فضلا عن كثير من الصحابة والتابعين ومن تقول عنهم كتب التراث أنهم أصلح الناس وأقربهم إلى الله على أنهم أسوأ البشر إن أنا سلطت الضوء متعمدا على أخطائهم التي لا تنفك عن كونهم بشر، وأهملت جوانب الخير العظيمة التي تقف كالجبل الأشم بجوار أخطائهم ..

مخطىء من يتصور أن الحياة لونين فقط ؛ أبيض وأسود ، أو أن المخالفات محصورة على بشر دون بشر ، فأهل الصلاح والخير يقعون في مشاكل وأخطاء قد تكون أقبح في تصورنا من تلك التي يقع فيها عامة الناس ، فجل المصلحين الذين أحدثوا نقلة نوعية كبيرة في تاريخنا الإسلامي كصلاح الدين الأيوبي ، وعبد الرحمن الداخل ، وكثير من أمراء بني أمية ، وبني العباس ، أعملوا سيوفهم في رقاب الناس ، وفعلوا من الأفعال ما يستوجب العقوبة !

غير أن الأمور لا تقاس بنفسية آحاد الناس ، فالأمر يختلف باختلاف المهمة والحيز الزمني والمكاني ، فمن يعمل بالعمل العام عموما أو لديه مهمات عظيمة كإقامة النظام الذي يحفظ من خلاله أمن المجتمعات ويصون الأعراض والأموال والأنفس عليه أن يختار في كثير من الأحيان بين شرين ، لا بين

خيرين ، وصلاحه من عدمه مرهون باختيار الشر لا الخير .. لكنه الشر الأقل تأثيرا ، والأقل تدميرا !

كل البشر يخطئون، غير أن الصالحين منهم يلازمهم التستر لا المجاهرة ، الاستغفار لا الإصرار ، الاعتراف لا التبرير ، الإحسان بعد الإساءة .

إن الأخطاء التي وقع فيها بعض الصحابة انعكست في إيجاد مجتمع كامل ، ذلك أنها – أي الأخطاء – كانت نبراسا ينير الطريق لاستقامة المجتمعات في كل زمان ومكان ، وعليهم ذنب عظيم أولئك الذين صوروا للعامة أن السلف كانوا ملائكة لا يخطئون ، ويفعلون من العبادات ملا يتصوره عقل ولا يقوى عليه جسد !

إن ضيق المفاهيم، ورعونة التصرف، وضحالة الطرح الديني الذي يريد المثالية في مجتمعات تئن من قسوة الواقعية ، انعكس في تخلفنا ، واضطراب نفوسنا ، وتعميق الخلل في حياتنا ، وتنفير الناس من الدين وأهله !

إلى ماذا يتطلع الخطيب الذي يكرر على مسامعنا أن الإمام أبا حنيفة صلى الفجر أربعين سنة بوضوء العشاء ؟

وإلى ماذا يتطلع الواعظ الذي يستكثر من ذكر الأمثلة التي لا منطق فيها ، ولا تعكس إلا تأصيل قيمة خبيثة مفادها أن الخير قد انتهى بالكلية ؟

ما أحوجنا في هذا الوقت لضبط الخطاب الديني ، ليكون أكثر واقعية ، حتى لا يضطر مثلي للجلوس مع ملحد كان بالأمس القريب يبكي من خشية الله!

تأملات في مسلسل (أنا وأنت وبابا في المشمش)

في عام ١٩٨٩ م ، قدم العملاق أسامة أنور عكاشة عملا مركبا يجتمع فيه النص المتقن مع الشعر المفعم بالجمال والبساطة ، مع الأداء العالي للعملاق حسن عابدين ، أذكر وقتها أني كنت في الصف الثاني الابتدائي ، ومن ثم لم أستوعب كل جماليات العمل إلا بعد أن تمكنت من مشاهدة المسلسل مرة أخرى قبل سنوات لاسيما بعد انشغالي بقضية الفن والدراما وتأثيراتها على المجتمعات ..

(أنا وأنت وبابا في المشمش) .. لم يكن عملا دراميا عاديا ، بل برز في وقت كانت كل ملامحه تدعو إلى ظهوره ، حيث تغلغل الفساد الاجتماعي في بنية الاقتصاد ، في ظل غياب الرقابة وتدهور البنية التحتية السياسية والقانونية التي تردع الفاسد ، وهذا ما تنبأ به العملاق أسامة أنور عكاشة ، ووضع له حلا فلسفيا مفعما بالواقعية ..

يرى عكاشة أن محاربة الفساد لا تتوقف عند اكتشافه فقط ، وإظهاره للناس ، بل يعتمد على إصلاح البنية السياسية والقانونية على يد صانع القرار ، وإلا فما أهمية أن يتم القبض كل يوم على فاسد أو مجرم ، والبيئة المشجعة على الفساد مهيأة على الدوام !

لقد استطاع أسامة أنور عكاشة أن يسلط الضوء على دور الإيجابية في حياة الشعوب ، وأهميتها للفرد ، فبعد أن تم تعيين الأستاذ عبد الباقي الجوهري (حسن عابدين) مديرا للشؤون المالية والإدارية بإحدى المحافظات وبعد أن اكتشف فساد صغار رجال الدولة ، تلفق له تهمة ويرمى في السجن ، تنقل لنا كاميرا عكاشة حجم التحركات التي كانت تقوم بها ابنته (فردوس عبد الحميد) بمساعدة (محمود الجندي) لإثبات براءة الرجل ، في رسالة مفادها لن يضيع حق وراءه مطالب !

ومع الحرارة المنبثقة من سخونة الفساد الذي يترعرع ويتشعب طيلة حلقات المسلسل كانت أشعار أحمد فؤاد نجم تتخلل المشاهد تارة بالتلطيف ، وتارة بالتحميس ، وتارة لترميز قدرة أسامة أنور عكاشة كبعقري لم يأت مثله من يحسن دمج المسرح بالدراما ، ومزج الدراما بالتراجيديا في قالب كوميدي على نحو يجعل المشاهد لأي عمل درامي الآن يأنف منه ، ويبتعد عنه بعد أن يلاحظ كم التسطيح ، وحجم الإجرام المتعمد في ترسيخ قيم بالية ، وقناعات رديئة تعاند الفطرة البشرية .

وتجلت عبقرية أسامة أنور عكاشة في اختيار جملة (يا خيبتك يا عبد الباقي وخيبة اللي زيك) .. حيث لم يكتف بكلمة يا خيبتك ياعبد الباقي وفقط ، بل أتبعها بـ(وخيبة اللى زيك) !

والعبقرية في الجملة لها شقين .. الأول يتمثل في كلمة (يا خيبتك يا عبد الباقي) ، لأنه من المهم أن يكون الإنسان أمينا ، صادقا ، يؤدي عمله على أكمل وجه ، لكن الأهم عند اكتشاف الفساد أن يفكر في كيفية محاربته والتصدي له برؤية واضحة وأهداف قابلة للتحقق ، وأدوات مبتكرة تؤتي ثمارها ، لاسيما إن كان الفساد لا يمثل أشخاصا بل منظومة متكاملة ، كالأغصان المتشابكة ، ذلك أن من يحاول أن يتصدى للفساد بصدر عار فلن يجد إلا السجن والسحل والطرد .. وربما القتل !

أما الشق الثاني من العبقرية فيكمن في كلمة (وخيبة اللى زيك) ، لأن اللى زيه ظل منشغلا بالفساد الجزئي تاركا رأس الأفعى ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، في تأصيل لقاعدة سياسية واجتماعية مفادها : لن يتم القضاء على الفساد الجزئي ، ما لم يتم إصلاح المنظومة الراعية للفساد والمغذية له !

رحم الله أسامة أنور عكاشة ، وحسن عابدين ..

*****

(حكاية الواد بلية)

(حكاية الواد بلية) .. واحد من أشهر الإعلانات التلفزيونية التي انطلقت في أوائل التسعينات من القرن المنصرم ، برعاية (الحملة القومية لتنظيم الأسرة) ، وفيه تسلط الكاميرا على طفل صغير يطل من أسفل سيارة معطلة يتم إصلاحها في الورشة التي يعمل بها على بعض طلبة المدارس وهم ذاهبون إلى المدرسة مرتدين زيا موحدا خاليا من بقع الزيت والأوساخ التي تصيب ملابس من قرر أن يعمل في ورشة من الورش أو اضطر إلى ذلك ، ويتمنى أن لو كان واحدا منهم ..

وبينما هو غارق في تأمل مشهد الطلبة وهم يغدون فرحين مسرورين ، يفاجأ بلكمة في وجهه من الأسطى صاحب الورشة التي يعمل بها ذلك الطفل ، ثم يتبع اللكمة بسيل من التوبيخ ، ونهر من الزجر !

هذا الإعلان وغيره ساهم _ عند أبناء جيلي _ في تكوين انطباع عام سيء عن أصحاب المهن التي يلازمها اتساخ في الملابس ، ونفور جماعي عن تعلم هذه المهن ، وشعور بالشفقة عند رؤية أصحابها من الصبية وصغار السن !

من سوء حظي أن الإعلان ظهر في نفس السنة التي قرر والدي رحمه الله أن يرسلني إلى إحدى الورش ، وبالطبع لم أنس الحزن الدفين الذي كان يعلو ملامح وجهي حين كان يراني الناس بملابس متسخة أثناء الإجازة الصيفية ،

وكمية الانزواء من نظرات الشفقة التي كانت ترمقني من هذا وتلك ، فلا أملك إلا أن أتدثر بالخجل ، وأفكر في عدم الذهاب مرة أخرى للعمل !

وبناء على النظرة التي صنعت بفعل فاعل ، لم يكن لتعلم الصنعة في الغالب دور يذكر في مسألة تكوين الشخصية وتعزيز الثقة في النفس وتنمية القدرات الذاتية ، بل كان العامل فيها لا يفارقه الشعور بالخجل كلما لمحت عيناه أحدا من أبناء قريته أو حيه الذي يسكن به !

في المقابل لم يكن الخطاب الديني منتبها لمسألة الطرح المتوازن الذي يعظم حب العمل الحرفي في نفوس المسلمين وأبنائهم ، للمساهمة في علاج القصور الحاصل من الطرح الإعلامي والإعلاني غير الهادف ، والمدمر ، وكأن الوعاظ لم يقرأوا يوما حديثا واحدا لرسول الله يمدح فيه الأيدي العاملة ، ويعلي من شأن الحرفة ؟!

كثير من التجار والصناع الذين تحدثت معهم في المقابلات الصحفية يؤكدون أن نجاحهم ووصولهم إلى مستويات متقدمة في العمل لم يكن إلا بسبب انشغالهم بالأعمال الحرفية التي مكنتهم من فهم طبيعة السوق ، وفهم طبائع الناس ، وحسن التعامل معهم ، فضلا عن أمور أخرى لا تقل أهمية للتاجر أو صاحب العمل مثل قدرته على فهم ألاعيب الصنايعية ، والقدرة على التمييز بين أنواع المواد الخام الداخلة في الصناعة وغيرها من الأمور الهامة ..

بعيدا عن إعلان (حكاية الواد بلية) لا زال العقل الجمعي المصري مصر على استعمال ثقافة العيب في المهن الحرفية ، حتى مع تدهور الأحوال المعيشية ، وانهيار الطبقة المتوسطة .. ومن أبرز تجليات ذلك امتلاء المقاهي بالشباب اليافع .. المفلس !

في العالم المتقدم يعتز كل فرد فيه بمهارته في الحرف اليدوية ، ويحدث الناس عنها بكثير من الفخر ، وما آمله من الشباب أن يتغير لديهم مفهوم نمط العيش الجاهز ، وأن يتوجهوا إلى المهن والحرف المختلفة ويبدعوا فيها ، ومن قبل ذلك يسعى الإعلام بكل وسائله لتعظيم العمل الحرفي في نفوس الناس ..

*****

من محاسن الأخلاق

بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في حجة الوداع يوزع الصدقات على المحتاجين فوجئ بأن من يطلب الصدقة منه رجلان من أصحاب الأجسام الضخمة والعضلات المفتولة ..

فماذا قال لهما ؟

قال لهما المصطفى:

(إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب) ، مقدما نموذجا يحتذى به في التعامل مع الناس بلطف ، والتفنن في الحفاظ على المشاعر ، ولو أن هذان الرجلان في زماننا لكانت ألطف عبارة توجه إليهما (مش مكسوفين من نفسكم) !

أرسل العقاد برسالة إلى معشوقة الأدباء مي زيادة ، فلم ترد عليه ، فبعث إليها برسالة أخرى يقول فيها:

(أرجو أن يكون ذلك عن عمد، فالعقاب عندي أهون من الإهمال) ..أتدري لماذا تعطي شريعتنا الغراء نفقة للمطلقة ؟

مراعاة لمشاعرها ، وجبر خاطرها ، قال تعالى:

(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) .

مراعاة المشاعر ، أكثر ما نتفقده الآن في هذا الزمن العجيب الغريب ، نمر على آيات من كتاب الله كان الأصل أن نتعلم منها احترام وتقدير مشاعر الإنسان بل الحيوان ، كما في قصة سليمان والنملة ، حيث حول مسار الجيش احتراما لمشاعر النملة لحظة الخوف ، وتقديرا منه لحرصها على مملكتها ، ليعلمنا أن الأولى من حشرة إنسان له لحم ودم ومشاعر يقول علماء النفس عنها أنها تفرح بكلمة ، وتحزن بإيماءة ، وتنشرح ببسمة !ونمر على السنة النبوية فنجدها في معظمها تحث على التعامل مع الناس بلطف ، يقول المصطفى عند كل خطأ يراه (ما بال أقوام يفعلون كذا) حتى لو كان المخطئ جالسا أمامه ، احتراما لمشاعره ، وقدم نموذجا رائعا في فن احترام أصحاب المهن اليدوية والمستوى الاجتماعي الأقل حظا عندما سلم على احدهم ووجد يده خشنة ، فقام برفعها إلى أعلى وقال بصوت عال : هذه يد يحبها الله ورسوله ، والمواقف أكثر من أن تحصى !لن يسود الحب بين الناس إلا باحترام مشاعرهم ابتداء ، ومظاهر ذلك كثيرة ، أهمها في وقتنا الحالي : الرد على الرسائل (المسموعة والمكتوبة) إن استطاع الشخص إلى ذلك سبيلا ، ذلك أن التأخر قد يفقد الرسالة قيمتها ، باعتبار أن المشاعر المصاحبة لوقت الإرسال لا تدوم ، بل قد تتحول للنقيض ! يتصل الواحد منا على شخص ما مائة مرة ، معتقدا أن الأصل أن يبادر الطرف الثاني بالرد فول وصول الاتصال ، دون مرعاة لآداب الاتصال من اختيار الوقت المناسب ، وتقدير ظروف الطرف الآخر ، والتماس العذر ، وتتصل على

أحدهم أكثر من مرة ، لأمر طارئ ، فيرد عليك ببرود بعد أيام بحج واهية لا تقنع طفلا ، لا يفهم منها إلا الإهمال والتهميش ..

ويكتب أحدنا إلى آخر رسالة متصورا أنه يجب أن يتلقى ردا فوريا طالما كان حساب الطرف الثاني متاحا أو متصلا ، ولا أدرى من الذي أقنعنا بأنه يجب على الطرف الثاني أن يرد في نفس اللحظة التي وصلته فيها الرسالة .. والأمثلة كثيرة ، تعكس في مجملها غيابا متزايدا في تقدير الآخرين واحترام مشاعرهم .

*****

الرزق !

ربما لأنها من القضايا التي تشغل بال كل إنسان يدب على وجه هذه الأرض ، وهي حديث الناس المتواصل جاءت الآية الكريمة على هذا النحو من البناء والتركيب (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ..

ربما يراها غير العارفين باللغة العربية وقواعدها آية عادية ، لكن المحبين لها والقريبين منها تتملكهم دهشة عجيبة من كمية القسم الواردة ..

فبعد ما أقسم الله في صدر السورة ابتدءا بـ(الذاريات) و (الحاملات) و(الجاريات) و(المقسمات) والأولى تعني الرياح التي تذرو وتفرق التراب والثانية تعني السحب التي تحمل المطر حملا ، والثالثة تعني السفن التي تجري على الماء جريا سهلا ، والرابعة تعني الملائكة الموكلة بتقسيم المقدرات التي وهبها الله لمخلوقاته ، يأتي التأكيد بخالق السماء والأرض (فورب السماء والأرض) دون العوض عنها بضمير لإدخال المهابة في نفوس السامعين بعظمة ربنا جل في علاه ، ثم يأتي حرف التوكيد (إن) لمزيد من التأكيد ، ثم تتبعه اللام في قوله (لحق) لتعزيز هذا التأكيد ..

ثم جاءت الميم ملتصقة بـ(مثل) زائدة ، والغرض من الزيادة هنا التوكيد ، ثم أردفت بـــ(أن) التي تأتي للتوكيد أيضا ، وجاء الفعل المضارع (تنطقون) دون

المصدر أو الماضي ، ليفيد التشبيه بالنطق المتجدد وهو أقوى لأنه مستمر محسوس ..

لم تنته التوكيدات في الآية عند هذا الحد فلا زال السياق والبناء يحمل دلالات أكثر عمقا في مسألة أن الرزق وكيف أنه أمر مفروغ منه تماما ..

في هذه الأوقات التي يشهد فيها سوق العمل في كثير من البلدان انكماشا ، وتقلصا للوظائف ، يجنح البعض لا شعوريا إلى إذلال نفسه لرب العمل ، متصورا أنه بهذا الإذلال سيحافظ على عمله ، ولا يدري المسكين أنه أخطأ ثلاث مرات ، مرة لأنه سمح لنفسه أن يصل إلى هذا المرحلة الخطرة عندما لم يؤهل نفسه جيدا لسوق العمل ويكتسب من المهارات ما يمكنه من المنافسة ، ولم يقنع بشهادة الليسانس أو البكالوريوس ، بل سأل وعلم وأدرك احتياجات السوق فتعب وسهر وكان متسلحا بالعلم الذاتي ..

ومرة لأنه قد غاب عنه (الله) الذي قسم الأرزاق ، وتعهد بها ، ومرة لأنه استسلم للثقافة السائدة في مجتمعاتنا وقرر البحث عن الوظيفة !

ولم يتأس بالصحابي الجليل الذي قال لأخيه الصحابي (دلني على السوق) ثم صار واحدا من أغنى أغنياء المدينة !

على كل حال إذا كنت من أمثالي الذين ركنوا إلى الوظيفة ، فإياك أن تذل نفسك لرب العمل وتتوهم أنك بذلك تحافظ على رزقك ، واتخذ من قول الإمام علي بن أبي طالب دليلا لك في حياتك :

حفر بئرين بإبرتين ونزح بحرين بغربالين

وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين

وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين

أهون عليّ أن أقف علي باب اللئيم فيردني خائباً

يعلمنا سيدنا علي من خلال هذه الكلمات كيف يكون الإنسان عزيزا ، لا يعرف الذل لنفسه طريقا ، ولهذا إياك أن تكون ذليلا لأحد من أجل لقمة العيش ..فالمال قد يعوض ، إنما الكرامة إن ذهبت لا تعود ..

عن ضرورة المسافات في العلاقات

تذكرت وأحد الأصدقاء يحكي لي بالأمس عن صدمته الكبيرة في أحدهم ، ما جاء عن أحد الحمقى قديما حين سمع بخبر موت الخليفة ، وبينما الناس في حزن حقيقي ومفتعل ، قام هذا الرجل وقال بأعلى صوته في المسجد : مات الخليفة أيها الثقلان ثم تنهد ، فقال جمع غفير من الجالسين في أنفسهم : هذا أشعر الناس ، فلقد نعى الخليفة إلى الإنس والجن بنصف بيت !

لم ينتظروا قليلا ليتأكدوا من حقيقة هذا الحكم ، لكن شاعرنا الذي أوهم الجالسين بأنه شاعر عميق ، بليغ ، قال في النصف الأخر من البيت : كأني أفطرت في رمضان !

هنا ضحك القوم جميعا وصار هذا الرجل شهرة في الحمق ..

لو صبروا حتى يكمل شطر البيت ، لما كانوا بحاجة إلى الثناء ابتداءً !

أكاد أرى كل يوم علامات الدهشة والصدمة على وجوه كثير من الخلق بسبب ردود الأفعال التي يجدونها في شخصيات لطالما أثنوا عليها وظنوا بها الخير كله ، ولم يتوقعوا أنهم بهذا السوء الذي انكشف بعد طول سنين ، وراحوا يلومون أنفسهم على ثقتهم الكبيرة التي منحوها لمن لا يستحقها بزعمهم !

وكثير من هؤلاء تغلب عليهم العاطفة ، أو السذاجة ،.. كحال الجالسين في المسجد منتظرين دفن خليفتهم !

في العموم كل إنسان يرى الناس بعين طبعه ، والتعاملات المادية ، والسفر كفيلان بإخراج مكنون الأخلاق ، ولحظات الغضب ليست مقياسا دقيقا للحكم على الناس ، والخطأ كل الخطأ أن يعطي المرء شيكا من الثقة على بياض لأحدهم ما لم تكن بينهما معاملة ، وأمانة يراد ردها .

والتماس الأعذار وحسن الظن ، ورؤية الأمر من أكثر من زاوية ، يقي الإنسان من مغبة الوقوع في الإثم ، والغضب ، والحزن ، ويعزز العقلانية .

والأصل عندما يحتد عليك صديق أو زميل في موقف ما ، وتكون ردة فعله معك عنيفة للغاية ، وتبحث في الأمر فلا تجد مبررا لتصرفه ، فلو كانت فورة الغضب هذه طارئة ، ولم تعهد فيه هذه الحدة من قبل ، فاعلم أن لديه مشكلات عويصة أخرجته عن هدوئه المعهود .. ومن ثم فهو بحاجة إلى (طبطبة) واحتواء لا ردة فعل منك أعنف !

لن تظهر شخصا ضعيفا ، بل ستكبر في عينيه ، وأعين الآخرين !

للذين خالطوا الناس أشكالا وألوانا ، وسافروا ، وقرأوا ، رفقا بمن لا تفرمهم الحياة بعد ، اطرحوا الأمل ، وانشروا الإيجابيات ، وانثروا التفاؤل ، وقدموا نماذج ناجحة تعزز الثقة بين الناس ، في زمن الشك والارتياب !

وللذين تعبوا من كثرة الصدمات ، اجعلوا في علاقاتكم الإنسانية مسـافـات كالتي بين عربات القطار ، فإنها تقي من التصادم المدمر !

هل يتحدث الموريتانيون العربية ؟!

كثيرون اعتبروا أن جهل المعلق الرياضي مدحت شلبي بدولة موريتانيا ، وأن أهلها يتكلمون اللغة العربية ، كعادة أي دولة عربية أخرى فضيحة كبرى ، وهو بالفعل فضيحة كبرى ، و خطأ فادح ، ينم عن جهل مركب ، وضعف علمي وثقافي لا يضاهيه إلا ضعف علم طفل بلغ الثالثة من عمره بنظرية النسبية لآينشتاين !

على أن السؤال الذي خطر ببالي وأنا أشعر بتلك الحسرة التي نال أهل موريتانيا منها جانبا ممن شاهدوا المقطع : هل يعرف شبابنا شيئا عن سيدنا (عبد الله بن ياسين) كمعرفتهم برموز الفن والكرة ؟!

تعمدت ذات مرة أن أسأل الجالسين بجواري في مكان ما وكانوا من الشباب اليافع المنبهر برموز الكرة العالمية : هل يعرف أحد منكم سيدنا عبد الله بن ياسين ؟

فلم يعرفه أحد !

ولهذا فموقف مدحت شلبي يمكن أن ينضم في تصوري إلى جوار جملة الخطايا المعرفية والثقافية التي وقع فيها أبناء العربية عموما وبنو الإسلام على وجه خاص ..

لا مانع إذن بالتذكير بهذا الجبل الأشم في عجالة ..

قبل أكثر من ألف عام ، شهدت موريتانيا التي كان يسكنها أهل (جدالة) و(صنهاجة) معاصي وذنوب جهرية لم تعرف المنطقة العربية مثلها ، حيث انتشر الزنا في الشوارع ، وغرقت شوارعها في بحور من الخمر ، وانتشر البيع بالربا ، وأضاع أهلها الصلوات واتبعوا الشهوات صغيرها وكبيرها ، لدرجة أن كثيرا من أهلها نسوا الإسلام وأنهم من أهله !

في تلك الظروف الحالكة خرج رجل بقى على فطرته ، لم يتلوث كباقي المجتمع ، ويدعى يحيي بن إبراهيم الجدالي ، وتوجه إلى حاضرة الدنيا وقتها وعاصمة الثقافة والعلم (القيروان) وقابل شيخها العلامة الأصولي الفقيه (أبا عمران الفاسي) ، وطلب منه حلا لأهل بلدته الغارقة في المعاصي .

انتدب الفاسي لتلك المهمة واحدا من خيرة تلامذته وهو سيدنا عبد الله بن ياسين الذي كان كبقية طلبة العلم ، مرفها يكتسب العلم في أروقة المساجد ، بين الظلال والعيون ، ورغد العيش ، فتشجع للمهمة وتوجه إلى موريتانيا مع الرجل الصالح يحيي بن إبراهيم الجدالي ..

ما أن دخل الرجل على أهل البلدة إلا وحاربوه مهددين إياه بالقتل أن تجرأ ونصحهم مرة أخرى ، لكن الرجل أصر على تقديم النصح ، والتذكير بعذاب الله إن هم استمروا على المعاصي والجهر بها ، فما كان منهم إلا أن حملوه ورموه على حدود المدينة !

قرر الرجل أن يذهب إلى السنغال وهناك أقام خيمة صغيرة وعاش فيها ، وكان قد أرسل إلى أربعة من الشباب الذي آمل فيهم خيرا ، فتوجهوا إليه وراح يعلمهم العلم الشرعي ، وفنون القتال ، وأمور الصيد ، وغيرها ، صار العدد ثمانية ، وأخذ في الزيادة حتى وصل إلى ألف ، ثم ثمانية آلاف في فترة وجيزة ، وبهم وعلى أيديهم فتح الله بلاد السنغال وعدة دول إفريقية وصل عددها إلى ١٥ دولة !

ولأن الرجل اتخذ لنفسه ولمن معه من الشباب خيمة ورابطوا فيها من هنا جاءت التسمية (دولة المرابطين) والتي قضي الله بها على فتن كثيرة كقطع الليل المظلم ، وبها انتشر دين الله وعاد قويا عزيزا في الأندلس كما كان على يد الفاتحين الأوائل موسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر وغيرهم !

يعني هذا الرجل الذي لا يعرفه كثير من المسلمين أسس دولة المرابطين ، ونشر الإسلام في كثير من دول إفريقيا ، وعزز دولة الإسلام في الأندلس لقرن من الزمان .. رحمه الله !

*****

التجريب قبل التشغيل

من أمتع الكتب التي قرأتها ودرستها كتاب (منهج الإسلام في استخدام الوسائل التعليمية) وفيه يسلط المؤلف الضوء على العديد من المقومات والمهارات التي أكدت عليها نصوص القرآن والسنة ، ومنها تجريب الوسيلة قبل التشغيل لكي تكون ناجحة ، وناجعة في نفس الوقت ..

أمر الله نبيه موسى أن يرمى عصاه وهو متوجه إلى مصر ، قبل أن تنزل عليه الرسالة ، فلما رماها ، تحولت إلى ثعبان ضخم ، لما رآه سيدنا موسى ارتعب وولى هاربا ، لكن الله أمره أن يقبل ولا يخف إذ لا يخاف لديه سبحانه وتعالى المرسلون !

أدرك موسى أن العصا معجزة أيده الله بها ، ليتحدى بها فرعون وسحرته ، وعلم مسبقا بالتجربة كيف ستتحول ، ومن ثم لما رماها أمام القوم حين اجتمعوا ضحى خاف القوم وولوا هاربين لما تحولت إلى حية ضخمة عدا هو ..

تخيل أن الوسيلة (العصا) جربت أول ما جربت أمام السحرة الذين جاءوا من كل حدب وصوب ليتحدوا موسى ؟

ربما كان أول الهاربين سيدنا موسى من هول المنظر ، وساعتها ستفشل الرسالة والوسيلة !

أتعجب من المحاضر الذي وضع مادته العلمية على فلاشة ، أو واسطة أخرى مدمجة ، ثم لم يكلف نفسه بتجريب جهاز العرض والفلاشة وتوصيلة الكهرباء وما إلى ذلك من أدوات معينة على الشرح والتوضيح ، حتى إذا بدأ العرض وشرع في فتح أدواته وجد أن الصوت لا يعمل ، والمادة لا تفتح ، والتوصيلات غير مناسبة ، فيضيع وقت الجمهور ، وتفشل الرسالة ، وتظهر العشوائية في أبهى صورة ، فلا يتحقق المراد !

*****

صورة من صور التكاتف المحفورة في الذاكرة المصرية

صورة من صور التكاتف والتعاون والتكافل الرائعة ما حدث في مدينة (ميت غمر) التابعة لمحافظة الدقهلية في عام ١٩٠٢ ، حيث شب حريق ضخم التهم القرية التي كانت مبنية من الطوب اللبن ومعرشة بالحطب بأكملها ، وراحت فيها الكثير من الأرواح والممتلكات ، وما نراه اليوم من مبان ومعمار وحدائق وأزهار قائم كله على أنقاض ميت غمر القديمة !

على إثر هذا الحادث الأليم انبرى الإمام محمد عبده يحث الناس على التبرع للقرية ، وبدأ بنفسه حيث حول موارد الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان يرأس مجلس إدارتها إلى إعادة إعمار القرية ، بل طاف بنفسه على وجهاء مصر وأثريائها يسألهم نصرة أهل القرية المنكوبة ..

لقد شهدت مصر في السابع من مايو عام ١٩٠٢ م ، ملحمة وطنية تشهد على أصالة هذا الشعب الكريم ، الشهم ، فقد تحرك الجميع في كل الاتجاهات ، هذا بماله ، وهذا بقلمه ، وهذا بيده ، هذا يحنو على الفقير ، وذاك يواسي الغني الذي ضاعت كل تجارته ، وفي ظرف شهور قليلة تم أعادة بناء القرية بأكلمها بما فيها المسجد الغمري الذي يعد صورة مصغرة من الجامع الأزهر ..

من نشأ في قرية مثلي لاشك كان يرى الحرائق بصفة دورية ، وذلك لأن غالبية البيوت كانت من الطوب اللبن ومعرشة بالحطب والقش ، وفي قلبها الفرن البلدي الذي كان يسعد الأسرة نهارا حين ينتج لهم ما لذ وطاب من المأكولات

، ويحزنهم ليلا حين يعانق عودا مشتعلا من داخله أكوام القش المخزنة أعلى المنزل ، وكنا نرى نماذج في التضحية والإيثار والكرم لا يمكن لكلمات أن تصفها ..

كنت أرى الكل صغارا وكبارا ، رجالا ونساء يسارعون في إطفاء الحرائق ، حتى إذا جاءت سيارة المطافي لم تجد شيئا لتفعله ..

بالعودة لحريق ميت غمر .. اللافت والجميل في هذه الحادثة أن أمير الشعراء أحمد شوقي كانت له مشاركة شعرية تعكس اهتمام الأدباء وأبناء الطبقة الثرية بمشاعر أهل القرية المنكوبة فقد كتب قصيدة رائعة جاء في مطلعها :

الله يحكـم فـي المدائـن والـقـرى

يا (ميت غمر) خدي القضاء كما جرى

ما جَلَّ خَطبٌ ثُمَّ قيسَ بِغَيرِهِ

إِلّا وَهَوَّنَهُ القِياسُ وَصَغَّرا

قَد جِئتُ أَبكيها وَآخُذُ عِبرَةً

فَوَقَفتُ مُعتَبِراً بِها مُستَعبِرا

مُدّوا الأَكُفَّ سَخِيَّةً وَاِستَغفِري

يا أُمَّةً قَد آنَ أَن تَستَغفِرا

يا أَيُّها السُجَناءُ في أَموالِهِم

أَأَمِنتُمو الأَيّامَ أَن تَتَغَيَّرا

وكتب حافظ إبراهيم هو الأخر قصيدة جاء في مطلعها :

سائلوا الليل عنهم والنهارا ... كيف باتت نساؤهم والعذارى

كيف أمسى رضيعهم فقد الأم ... وكيف اصطلى مع القوم نارا

كيف طاح العجوز تحت جدار ... يتداعى وأسقف تتجارى

رب إن القضاء أنحى عليهم ... فاكشف الكرب واحجب الأقدارا

ومر الناس أن تكف أذاها ... ومر الغيث أن يسيل انهمارا

السينما والواقع

شاهدت مؤخرا فيلما تحت عنوان (The Company men) ، تقاسم دور البطولة فيه كيفن كوستر وكريس كوبر وبن أفليك ، والرائع تومي لي جونز ، ومن ضمن الأمور التي أحرص عليها عند متابعة كل فيلم التركيز على أبرز القيم التي يطرحها العمل الفني ، وعلاقتها بجملة القيم السائدة في البلد المنتج ، ولا أنسى النظر في الميزانية والإيرادات .. ووجدت أن ميزانية هذا الفيلم لا تتعدى الـ(١٥) مليون دولار في حين وصلت إيرادته ٤٨٨٢٥٧٧ دولار !

والفيلم مصنف تحت فئة الدراما ، ويعالج التأثير الاجتماعي للأزمة المالية العالمية التي خرجت من رحم الرأسمالية الأمريكية ، عقب انهيار سوق الرهن العقاري ، وزارت معظم دول العالم ، بما فيها دول منطقة الشرق الأوسط ..

اللافت أن هذا العمل الذي يعالج الواقع بالفعل ويرصد المشكلات التي انبثقت من الأزمة المالية العالمية التي اجتاحت العالم في عام ٢٠٠٨ م ، من منظور اجتماعي ، في قالب درامي مشوق ، فيه من التسلية على المواطن الموجوع من طرده من عمله ، وفيه سلوى للزوجات اللاتي عانين من قلة الدخل والبطالة ، وفيه تسليط للضوء على جشع بعض أصحاب الشركات ، وفي تحذير لمتخذ القرار من مغبة تكرار هذه الأزمة التي تهدد أركان المجتمع !

اللافت أن هذا الفيلم سبقه عدة أفلام تعالج ذات القضية ، وتلاه عدة أفلام تعالج نفس القضية ، مع التركيز على أسباب الأزمة بالشرح والتفسير ، وفي كل هذه الأفلام استعان المنتجون بنجوم شباك هوليود ، ولعل من أبرز تلك الأفلام : فيلم (Global Financial Crisis) وفيلم (The big short) و فيلم (Margin Call) وفيلم (Too Big To Fail) ، وفيلم (Capitalism) وفيلم (Inside Job) وفيلم (I.O.U.S.A) وروعة الأخير تكمن في أنه أنتج قبل نشوب الأزمة وتوقعها وتوقع نتائجها استنادا على التوسع في سياسة الاقتراض التي تبنتها الولايات المتحدة .

المثير أن هذه الأفلام وغيرها من الأعمال السينمائية والوثائقية التي عالجت قضية الرهن العقاري وما أحدثته من أزمة مالية عالمية تنوعت ما بين الدراما والكوميديا والإثارة ، وبعضها ركز على الجوانب الاجتماعية ، وبعضها ركز على الجوانب الاقتصادية ، وبعضها ركز على تفهيم المجتمع بطبيعة الأزمة وأسبابها مستخدما أرقاما وإحصائيات وشهادات من متخصصين ، ودور البنوك الكبرى ، وبعض الأنظمة الحكومية في الأزمة وغيرها من الجوانب الأخرى ..

جل هذه الأفلام حقق إيرادات عالية جدا ، ورسخ قيما اجتماعية واقتصادية وعلمية رائعة ، فكانت شاهدا على دور الفن في حلحلة مشاكل المجتمع ، ونموذجا رائدا في تعزيز رسالة الفن من منظور أصحابه ، وذلك على عكس

الأعمال التي تنتج في منطقتنا العربية ، فهي تحمل قيما لا شك ، لكنها قيم لا تنسجم مع عاداتنا ومعتقداتنا ، ولا تساهم إلا في مزيد من الانحلال الاجتماعي والقيمي .. والحل برأيي مقاطعة الأعمال التي تتعارض مع قيمنا وعاداتنا الأصيلة للتضييق على أصحابها وإجبارهم على تعديل المسار !

*****

كيف تحولت التنمية البشرية من علم إلى أداة للنصب ؟!

أتعجب من الذين يهرولون إلى الحجز في (كورسات) ما يعرف بالتنمية البشرية ، ويبادرون للجلوس بين يدي واحد من الذين أنعم الله عليهم بحلاوة اللسان ، ليشنف آذانهم بجميل العبارات ، ويمتع أسماعهم بأروع الحكايات ، معتقدين أنه بعد هذه الساعة أو تلك الساعات القليلة من القصص والروايات سيفجر فيهم الطاقات ، ويحقق لهم المنجزات !

أتعجب من تلك النوعية حين لم تبادر يوما بشراء كتاب واحد في السيرة النبوية للوقوف على ملامح مسيرة أعظم مدرب في العالم ، ليتعلموا كيف كان يتعامل مع الله ، ومع الناس ، ومع الأطفال ، ومع الشجر والدواب ، وكيف كان يخطط لحياته ، وينجز أهدافه .. كيف كان يحب ، ولماذا يكره ، وكيف يعكس بسلوكه صورة راقية في قضايا الاتزان النفسي والسلوكي والاجتماعي !

أستطيع أن أتفهم إقبال شريحة من الشباب على مثل تلك (الكورسات) من باب الحصول على شهادات تعزز السيرة الذاتية ، وأستطيع أن أتفهم أن هناك قلة من المتصدرين لمجال التنمية البشرية تجتهد في تحقيق مسألة الارتقاء بالذات للأفراد استنادا إلى مهارات وخبرات يمتلكونها في مجالات متخصصة وتحقق نجاحات مبهرة ، كما أستطيع أن أتفهم أن العلم _ أي علم _ له احترامه البالغ ، في كل مجال وعلى يد كل إنسان متخصص يمتلك المعرفة والدراية اللازمة !

في مجتمع كمصر ،يجد ثلة من النصابين ضالتهم في خداع الشباب ، حيث تكثر البطالة ، وتعمل المشكلات الاجتماعية عملها في النفس ،فيقوم هؤلاء تحت شعارات براقة ، ولافتات خطافة باستقطاب الشباب من الجنسين لإعطائهم جرعات من الحماس المفرط ، سرعان ما يتحول معه الشخص إلى كائن محبط ؛ لأنه صار كالبلونة التي انتفخت بالهواء وأُطلقت في الجو تتحرك يمنة ويسرة في تخبط واضح يتبعه هبوط مدوي في زاوية من زوايا المكان !

بالتوازي هناك حالة من الميوعة التي تبعث على الملل والانزعاج انتابت قطاعات كبيرة من مجتمعنا ، يجيب الرجل قليل الخبرة وفاقد التخصص والأهلية على مواقع مثل (آسك) وغيرها في قضايا تستدعي خبراء عصره ليجيبوا عليها

ويصدقه شباب وفتيات مفتونين ، غارقين في الحيرة .. لأنهم ربما رأوه متميزا في فن من الفنون !

- *مثال من السيرة*

استغرقت (مايرز) وابنتها (بركز) نصف قرن من الزمن لوضع الأسس التي على أساسها يمكن تحديد الأنماط الشخصية وما ينبني على كل نمط .. وسميت هذه الدراسة : الأنماط الشخصية بأسلوب MBTI حضرت وسمعت الدورة التي تشرح الأنماط الشخصية ب بأسلوب MBTI فانبهرت ، ولكن كان انبهاري أكثر عندما اطلعت بإمعان على أسلوب رسول الله صلى الله عليه

وسلم وبراعته في معرفة الأنماط الشخصية .. والمتأمل في أحداث صلح الحديبية سيدرك ذلك بجلاء ..

حضر عن مكة للتفاوض مع الجيش المسلم أكثر من نفر فظهرت براعة الرسول في تحديد نمط شخصية كل من قائد قبيلة خزاعة: بديل بن ورقاء وقائد الأحابيش: حليس بن علقمة ، وقائد سقيف: عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وأخيرا سهيل بن عمرو، واختار الأسلوب الأمثل للتعامل مع كل واحد منهم ..

لكن الأجمل تعامله مع حليس بن علقمة حيث بمجرد أن رآه قادما قال لأصحابه إن ذلك رجل يعظم شعائر الله ، أطلقوا الهدىّ أمامه وارفعوا أصواتكم بالتلبية فلما رأى ذلك رجع إلى قريش ولم يصل إلى الرسول أصلا .. وفي الأخير فتح الله على المسلمين وكان النصر حليفهم في مهمتهم .

*****

والاستعجال لا يأت بخير !

جلس أحدهم بين يدي إمام المسجد يسأله عن حكم زوجته التي طلبها في الفراش ليلا فأبت ، فما كان من الشيخ إلا استحضار رأي العلماء في المسألة والقاضي بحرمة فعلها ولعن الملائكة لها ، مؤكدا له أنها زوجة ناشز ، ومن ثم يسقط حقها في النفقة والمسكن، ولم يكلف مولانا الشيخ نفسه بطرح الأعذار الشرعية من حيض ونفاس وصيام واجب ، وأعذار غير شرعية من مرض وتضرر من العلاقة ونحوه ، ولم يكلف نفسه سؤال الزوج الشاكي عن طبيعة العلاقة بينهما صباحا، ولم يضع في حسبانه احتمالا واحدا من الاحتمالات التي تنفر الزوجة من زوجها كسوء المعاملة ، وقلة الاحترام ، وانعدام النظافة الشخصية !

وقبل فترة جاءتني زوجتي غاضبة من تصرف أحدهم مع زوجته ، وكيف نزع الله الرحمة من قلبه ، فيعاملها بقسوة ، ويحتقرها ، ويقلل من شأنها دوما ، وكان المطلوب مني في نهاية حديثها أن أحزن على حال صديقتها كحزنها عليها ، ولا مانع من البكاء أمام تلك الحالة الإنسانية التي تستحق الشفقة !

بعضهم بارع في سرد الحكاية ، وبعضهن بارعات في إخفاء فصول من القصة ، بظهورها قد تفقدها تفاعل الآخرين معها واستجلاب الاستعطاف اللازم ،

وكثير من الناس الاستعجال دأبه ، والعاطفة واستبعاد العقل دربه ، والاستماع إلى أحد طرفي القصة دون الأخر منهجه !

لقد عاتب الله نبيه داود عليه السلام لأنه استمع إلى خصم في دعواه ولم يستمع إلى الآخر ، وكان الأصل أن يستمع إلى الخصمين قبل نزول حكمه ، ولهذا من الكلمات التي توزن بماء الذهب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وغيره قوله (إذا جاءك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له، فلعل خصمه فقئت عيناه) ..

حتى الاستماع إلى الطرفين ليس ناجعا في كل الحالات ، فأحيانا لابد مع الاستماع من أهل الخبرة للوقوف على ميزان دقيق توزن به الأمور ، فقد يتطلب الأمر استشارة متخصص لكي يخرج الحكم صائبا ، ذلك أن لدى أكثرنا قناعات في الحياة توهمنا أننا الأصح في حين أن الخطأ كامن فيما نعتقده دون أن ندري ، ومن ذلك خلط البعض بين ما يأمر به الدين ، وما يقتضيه العرف !

من جماليات هذا الدين أنه يتسم بالواقعية ، ويضع من الإجراءات الوقائية ما يجنب الناس المشكلات المتوقع حدوثها ، ومن ضمنها تأكيده على اختيار الزوج صاحب الدين وتقديمه على صاحب المال والجاه والسلطان ، ذلك أنه سيكرم زوجته إن أحبها ، ولن يظلمها إن كرهها !

*****

لماذا سميت بـ (نون الوقاية) ؟

من المواقف التي لم تزل في ذاكرتي – لا تبارحها – وكان لها تأثير كبير في تكويني الشخصي ونظرتي للأمور ، حضوري مجلس صلح بين عائلتين مختلفتين إثر انفصال ابن العائلة الأولى عن بنت العائلة الثانية ، وفيه أساء أهل أحد الخصمين لرجل من لجنة الصلح وهو الرفيع مقاما ، فما كان منه إلا أن قال وقد ارتسمت على محياه ابتسامة بعد أن ظن بعض الحضور أنه غضب من تلك الإساءة : (إحنا جايين هنا عشان نتشتم ونأخد ثواب)، فبهت المعتدي !

كنت أرى هذا الرجل ومعه مجموعة من خيار الناس الذين اصطفاهم الله لحل مشاكل الناس في بلدتي والدخول السريع حين تستدعي الحاجة غير مبالين بما قد يتعرضون له من إهانات وتجاوزات في حقهم ، دافعهم الوحيد وقاية المجتمع من الآفات ..

وبسعيهم الحثيث في إقامة بيوت أوشكت على الانهيار ، وتعزيز كيان أسرة أوشكت على الضياع ، أدركت لماذا كان السعي في نفع الناس من أفضل الأعمال وأكثرها أجرا ، ولماذا كان وجود أمثال هؤلاء ضرورة ملحة لاستقامة حياتنا وصلاح مجتمعاتنا !

تذكرت هذا الموقف وأنا أستحضر بعضا من علوم اللغة لاسيما حين توقفت عند عمل (نون الوقاية)

يقول علماء اللغة تأتي (الياء) في إطار المخاطبة كما في (اكتبي – اشربي– العبي)

وتأتي للمتكلم عن نفسه كما في (صلاتي – كتبي – حياتي)

وهذه الياء يتصل بها (الاسم) و(الفعل) و(الحرف الناسخ)

وحين تتصل بالاسم فإنها تتصل به مباشرة دون واسطة كما في (هذا كتابي) ورغم أن كتاب هنا تستحق الرفع ، لكنها تكسر في إطار المناسبة الصوتية ، أي مناسبة الكسرة للياء .

وحين تتصل بالفعل فالأمر يختلف ، ذلك أن الفعل لا يأتي مكسور أبدا ، ومن ثم يلزم أن يكون هناك واسطة ، هذه الواسطة تسمى (نون الوقاية) وسميت وقاية لأنها ارتضت أن تكون في هذا الموضع حتى لا ينكسر الفعل ، فبذلك تكون قد وقته مغبة الوقوع في الكسر ..

ومثال ذلك حين تقول (محمد أكرمني) فأكرم فعل ماض مبني على الفتح ، وحين تتصل به ياء المتكلم يلزم الكسر لمناسبة الياء لحركة الكسر ، غير أن في ذلك مشكلة فلا يصح أن تقول (محمد أكرمي) ومن ثم وفي مثل هذه الحالات يلزم أن تتدخل واسطة لحل الإشكال ورأب الصدع الذي يصيب بناء البيت وأركانه _ أقصد بنيان الجملة وأركانها !

ومن اللطيف أن الأمر مشابه حين تتصل ياء المتكلم بالحرف الناسخ ، ذلك أن العلماء يطلقون على (حروف النسخ) (الأحرف المشبهة بالفعل) ، وهي (إن – أن – كأن – لكن – لعل – ليت) ولأنها مشابهة للأفعال جاز أن تدخل (نون الوقاية) وجاز حذفها ، فأقول (كأني) ..

غير أنه في بعض الحالات يلزم دخول النون لوقاية (ليت) من الكسر فأقول (ليتني) بدلا من (ليتي) ..

وفي هنا فائدة أن يدرك العقلاء ضرورة إدخال الوسطاء العقلاء أيضا إذا اقتضت الحاجة لئلا يندم الجميع ويقول (ليتني) مضطرا ، لكن .. بعد فوات الأوان !

*****

وقفات في حياة عمر بن أبي ربيعة

ولي في حياة عمر بن أبي ربيعة الشاعر الأموي المعروف وقفات ..

تربي عمر في حضن أمه ، التي مات عنها زوجها وترك لها مالا وفيرا ، فجعلته يساعدها في إدارة شؤون البيت والأملاك الموروثة ، وكان من نتيجة ذلك أن أتيح له كثرة الاختلاط بالنساء والجواري ، من دون حرج أو خجل ، فنشأ رقيقا كالنساء ، يحب الجلوس معهن ، ويحلو له أن يصف أجسادهن ، ويطرب المجالس بالحديث عن مفاتنهن ، ساعده في ذلك نبوغه في الشعر ، الذي تمحور حول المرأة ، حتى لقب بالعاشق !

مثل هذه النوعية من الرجال لا تنصف قضية ، ولا يعول عليها في شيء ، ومن المصادفات العجيبة أنه مات في نفس اليوم الذي توفي فيه سيدنا عمر بن الخطاب فسمي باسمه تيمنا به ، ولما رأى الناس سلوكه وميوله حين كبر ، قالوا : زهق الحق وظهر الباطل ؛ لشعره المتحرر الماسخ !

هذا التقييم الذي لا يلتفت إلا إلى النقائص ، والعيوب هو السائد في تراث العرب الأدبي والتاريخي ، إلا عند نفر قليل ، مما أنصف الرجل !

منهم الشيخ العلامة الفقيه محمد الأمين الشنقيطي ، فلما زار بلدا عربيا ، واحتفى الناس به ، وجلس حوله المثقفون والمهتمون بقضايا الدين والفكر ، وسأله بعضهم : ما هو آخر كتاب قرأته ؟! ظانين أنه سيقول كتابا حول

التفسير وعلوم الدين ، فإذا به يقول لهم إجابة غير متوقعة .. آخر كتاب قرأته هو (ديوان عمر بن أبي ربيعة) !

فكانت إجابته صادمة للبعض ، إذ كيف يقرأ العلامة الورع مع ضيق وقته ديوانا لا يخلو من غزل صريح ، وميوعة ، ومجون ؟

لكن إجابة الرجل رحمه الله ، غير المتوقعة كانت ملهمة لأولئك الذين يحلو لهم دوما أن يتصوروا الحياة وفقا لبنيتهم المعرفية ، ونفسيتهم الجامدة ، كمن يعترض على من يقرا في حياة الفنانين والممثلين ، والأدباء والساسة مهما كانت أفكارهم ، للوقوف على طبيعة كل عصر ، وفهم كل نفس ، وإدراك العلاقة بين مفردات كل زمن ، لاستخراج القيم الإنسانية مجردة ، ولاستشراف ملامح المستقبل عن وعي !

إن عمر بن أبي ربيعة ، مع ما فيه من عيوب ونقائص ، لكن ديوانه من المراجع الأصيلة في اللغة ، ولهذا كان عبد الله بن عباس يحفظ شعره عن ظهر قلب ، ولأنه كان قريبا من النساء ، (منسون بلغة أهل اليوم) إلا أنه كان بارعا في سبر أغوار المرأة ، وتشريح نفسيتها ، ويستطيع المتلذذ بالشعر الفصيح أن يقف على طرق استرضاء المرأة ، وإقناعها بما يريد من خلال قصيدته التي جاء في مطلعها :

ألا قلْ لهند إحرجي وتأثمي، وَلا تَقْتُليني، لا يَحِلُّ لَكُمْ دَمي

وحلي حبالَ السحرِ عن قلبِ عاشقٍ حزينٍ، ولا تستحقبي قتلَ مسلم

فقد اعتمد في القصيدة أسس الاسترضاء المرتكز على المبالغة في المدح ، والتبرؤ من الذنب ، والاستعطاف الطويل المتكيء على السيولة العاطفية التي تتسم بها المرأة ، وضعف ذاكرتها ، بعيدا عن إقامة الدليل ، ومخاطبة العقل بالحجة والبرهان .

إن الأدب والغوص في أعماقه ليس ترفا كما يعتقد البعض ، لكنه قاسم مشترك لدى التجربة الإنسانية بعقدها ونقائصها ، لاسيما في عصر تعاظم فيه دور التكنولوجيا وتسارعت فيه وتيرة المعرفة ..

ولئن كان العلم نورا يزيل الجهل ، ويبحث في مختلف تخصصات الحياة ويفك طلاسمها إلا أنه عجز عن فك طلاسم النفس البشرية ، بينما ساهم الأدب في ذلك بنصيب وافر !

من يقرأ الأدب لا يتعصب ، ولا يتكبر ، ولا يقف في زمرة الأغبياء ، بل ربما فهم الحياة كما لم يفهمها غيره .

*****

سر من أسرار نجاح عبد الحليم حافظ

بسؤاله عن أهم عوامل ظهور ونجاح (عبد الحليم حافظ) في وقت كانت الساحة الفنية محصورة على عملاقي الغناء الفردي وهما (محمد عبد الوهاب) و(أم كلثوم) ، أجاب الأستاذ يوسف إدريس بإجابة عبقرية استوفت في نظري الأمر من كل جوانبه ، فقد ذكر أن الواقع كان بحاجة إلى كلمات جديدة ، ولحن مختلف ، وأداء مختلفا على خشبة المسرح ..

غير أن هناك زاوية أخرى لا تقل أهمية عن الأسباب المذكورة ، تتجلى في قدرة عبد الحليم على استعطاف الناس لا شعوريا ، فلقد حرم الرجل من والديه وهو صغير ، فنشأ يتيما ، وبانتهاء فترة الطفولة والصبا ومع دخول مرحلة الشباب أصيب بمرض فتك بكبده ، فبدل من ملامح وجهه ، وأنهك جسده النحيف !

استقطب حليم عاطفة المجتمع دون أن يسعى لذلك ، فهو بالطبع لم يطلب الشفقة من أحد ، لكن ملامح وجه اليتيم ، والمريض مهما ظهر قويا فإنه يبدو للناس مستدرا للعواطف ، قريبا من قلوبهم ، تتعلق النفوس به دون سبب منطقي مفسر !

بعيدا عن قصة عبد الحليم ، ومرضه ، أفكر أحيانا في لطف الله بالعبد ، من حيث لا يعلم ، ومراعاة مصلحته من حيث لا يحتسب ، وكيف يغفل المرء عن

لطف الله حينما يقرر أن ينظر إلى الابتلاء بالمرض أو فقدان غالي أو رحيل عزيز أو خسارة مال أو ولد دون أن يفكر في الحكمة !

كثيرا ما كنت أغضب في نفسي على بعض أمور قدرها الله لي ، لكني أبدو في خجل شديد من الله ثم من نفسي حين تبدو لي الحكمة بعد فترة ، فتعلمت بعد طول سخط ، وكثير غضب أن أوقن يقينا أن الله بلطفه يوصل إلي المصلحة من حيث لا أشعر ولا أتوقع !

تذكرت وأنا أتدبر في لطف الله بالعبد ما حصل معي قبل ما يقرب من ١٤ سنة ، حين طلبت من قريب لي قطعة أرض لأمي ، لأني كنت بحاجة شديدة للمال ، فرفض وتعنت ، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة ، ودعوت الله كثيرا أن يلين قلبه فازداد تعنتا ، ثم مرت الأيام والسنوات فشهدت العقارات والأراضي ارتفاعا جنونيا في الأسعار ، وفي تلك الأثناء يمكنني الله من الحصول على الأرض وأبيعها بمبلغ يمثل سبعة أضعاف المبلغ الأول ، فأدركت حكمة الله حين ادخر لي مبلغا جاء في وقت حساس للغاية !

لو تأملنا حياتنا بتدبر وحسن ظن بالله فسندرك أن كل ابتلاء في الظاهر هو عين الرحمة ، ومن الأمور المعينة على ذلك قراءة كتاب الله وسيرة نبيه بتمعن وتدبر للوقوف على خبرات حياتية تغذي العقل ، وتقوي القلب ، وتزيد الإيمان ، وتقرب العبد من ربه ..

حاول أن تقرأ قصة سيدنا يوسف مرة أخرى وتضع نفسك مكانه ، فتتصور أن إخوتك ألقوك في البئر ، ثم تباع عبدا ، ثم تقضي عمرك في خدمة من اشتراك بدراهم معدودة ، ثم تتهم بأنك زنيت بامرأة سيد القصر ، ثم توضع في السجن ظلما ،، تخيلت !

إن كل ما حصل في نظرنا ابتلاء عظيم ، لكن لطف الله كان حاضرا في كل مشهد ، فلم يكن يغلب على ظن يوسف أنه سيخرج من البئر لكنه خرج ، وغلب على ظنه ربما أنه لن يفك أسره ، ولن يسلم من فتنة المرأة ، ولن يخرج من السجن لعظم الجريمة وتناول الرأي العام لها ، لكنه خرج وتحرر وصار سيدا ، ومثلت كل مصيبة مرت به درجة في سلم العلياء والمجد والتمكين في الأرض !

*****

والإنصاف جميل ..حتى مع الأعداء !

من الأمور التي تسلب العقل من الجمال ، أن ترى الرجل ينصف عدوه فضلا عن قرابته وأهله ، ولهذا أسرني موقف أبو جعفر المنصور وهو يصف عدوه اللدود عبد الرحمن بن معاوية أو عبد الرحمن الداخل ، بـــ(صقر قريش) !

كما هو معلوم أن رجال الدولة العباسية لاحقوا من كان مؤهلًا من الأمويين لتولّي الخلافة، فقتلوا الأمراء وأبناء الأمراء وأبناء أبناء الأمراء إلا قلّة ممن لم تصل إليهم أيديهم ، وكان منهم (عبد الرحمن بن معاوية) حفيد هشام بن عبد الملك بن مروان ، الشاب الفتي الذي لم يكن يبلغ العشرين من عمره بعد ، فقد قفز في نهر الفرات ورحل إلى مصر ومنها إلى أخواله في برقة بليبيا ومنها إلى بلاد المغرب ، ومنها إلى الأندلس ، وأعاد ملك بني أمية في تلك البقعة البعيدة من الأرض !

وبينما كانت بلاد العرب والإسلام خاضعة للدولة العباسية كانت الأندلس وحدها تحظى بملك بني أمية بقيادة ذلك الشاب الفتي الذي تصح سيرته أن تكون بابا واسعا من أبواب الإلهام لدى عموم الشباب ، والرجال ، ومن تصدر للقيادة والسيطرة والحكم !

لاشك حاول (أبو جعفر المنصور) ذلكم الخليفة العباسي أن يسقط حكم بني أمية في الأندلس ، وأرسل الجيوش لكنه لم يتمكن من ذلك ، حيث أعمل عبد

الرحمن الداخل سيفه في رقاب الجيوش المرسلة من قبل أبي جعفر وعلى رأسهم جيش القائد العسكري (العلاء بن مغيث الحضرمي) ، لدرجة أن أبا جعفر دعا ربه قائلا : الحمد لله الذي جعل بيني وبين عبد الرحمن البحر !

جلس أبو جعفر يوما بين رجالات قصره ، وسألهم : أتدرون من هو صقر قريش؟

فقالوا له في نفاق اعتاد عليه رجال القصر في الغالب : هو أنت ، فقال لهم لا !

فِشرعوا في ذكر بعض الأسماء من نوعية معاوية بن هشام ، وعبد الملك بن مروان وغيرهم ، فكانت إجابته : لا .

ولما عجزوا قال لهم : بل هو عبد الرحمن بن معاوية، دخل الأندلس منفردًا بنفسه، مؤيّدًا برأيه، مستصحبًا لعزمه، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلدًا أعجميًا فمصّر الأمصار وجنّد الأجناد، وأقام ملكًا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه.

الإنصاف خلق إنساني ، وإسلامي رائع علموه لمن يقبع تحت مسؤولياتكم التربوية ، فبه تنصلح المجتمعات ، وتتقدم البشرية ، وتنتهي العدواة والبغضاء بين أبناء البيت الواحد ، والقبيلة الواحدة ، وأهل البلد الواحد ، ذلك أن أكثر ما يملأ قلب المرء حقدا وغضبا أن يرى الآخر قد ظلمه وسلب منه حقه كذبا ، وتعديا وفجورا ..

علموا أولادكم هذا الخلق من كتاب الله (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) ، ومن سنة رسول الله ، فمن أجمل ما وقفت عليه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الموقف الذي طلب فيه النبي من سيدنا عبد الله بن أنيس أن يذهب إلى مكة ويأتي برأس خالد بن سفيان الهذلي الذي كان يخطط لقتل النبي ، ولما قال عبد الله بن أنيس للنبي : صفه لي يا رسول الله لأني لا أعرفه ، فكان وصف النبي دقيقا متحليا بالإنصاف ، حيث قال له (إذا رأيته وجدت له قشعريرة) يعني له رهبة في عيون من يراه !

علموه لأولادكم من سير المؤمنين والصالحين ، وسير الظلمة والكافرين ، والملحدين ، فقد انحنى هتلر أمام قبر نابليون بونابرت لما دخل الأول باريس منتصرا ، ووجدت(ماكس هوركهايمر) أحد مؤسسي المدرسة الفرانكفورتية التي أنشئت في الأصل لإعادة إحياء البعد النقدي في الفلسفة الماركسية يشيد بكتابات (جوستاف لوبون) اليميني !

*****

فراسة عمر بن عبد العزيز وحسن منطقه

هم سليمان بن عبد الملك بالانتقام من الذين تأمروا عليه مع أخيه الوليد بن عبد الملك ومنهم آل الحجاج بن يوسف الثقفي ، فلقد أشار الحجاج على الوليد أن يغير في بنية انتقال الحكم ، بحيث يجعل الحكم في أولاده بدلا من إخوانه ، غير أن قدر الله سبق ، فمات الحجاج بعد طرح فكرته ، ومات الوليد قبل أن يشرع في التنفيذ !

وبعد أن تسلم سليمان مقاليد الحكم بعد أخيه الوليد نحى آل الحجاج وجاء الدور على مواليه وكان منهم (يزيد بن أبي مسلم) ، مولى الحجاج على الأموال ، ولما هم سليمان بخلعه من منصبه ، بحث عن حجة ومبرر ، فلم يجد ، ذلك أن عمليات الجرد التي تمت لم تدن الرجل ، بل أثبتت أنه لم يسرق درهما واحدا !

على الجانب الآخر كان عمر بن عبد العزيز مستاء من عزم سليمان على عودة رجل الحجاج مرة أخرى إلى منصبه ، ولما قال له سليمان : إن الرجل لم ير عنه أنه سرق دينارا ولا درهما ، كانت إجابة عمر رضي الله عنه : وكذلك إبليس لم ير عنه أن سرق دينارا ولا درهما ، وما أضل الخلق مثله !

انظر إلى المنطق الجميل الذي تحلى به سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فحولنا أناس كثر يقيمون الرجل من هؤلاء بناء على ذمته المالية ، فقط ، أو

مهارته المهنية فقط ، حتى لو فعل كل الموبقات .. ومنطقهم معوج ، إذ أن نظافة اليد مما يصعب قياسه ، وكم من عفيف خدمته الآلة الإعلامية وسلطت الضوء على إبراء ذمته المالية ثم اكتشفنا لاحقا أنه كان غارقا في الفساد ، وكم من نظيف اليد حقا ، لكنه ، متسخ القلب ، فاقد للطهر ، سليط اللسان ،، فاحش البيان ، سفاك للدماء ، قلبه وفكره هواء !

*****

الوليد بن المغيرة نموذجا

كان الوليد بن المغيرة والد سيدنا خالد بن الوليد من السادة الكبار ، مسموعي الكلمة ، يصح أن يكون نموذجا عند الحديث عن الذين نراهم في كل حي ، وكل قرية ، وكل مدينة ممن امتلكوا ذكاء ودهاء ، لكنهم ارتضوا بالسيادة في الدنيا ولو على حساب الحق ، وعاقبة أمرهم في الآخرة ..من الناس من يبيع دينه مقابل أن يظل سيدا بين الناس في الدنيا ، وهو لا شك خاسر في الدنيا وفي الآخرة ، فالأجيال ستتغير ، وحتما سيأتي الجيل الذي يعرف حقيقة هذا السيد كزعيم عصرنا الذي كان ملء السمع والبصر في حياته، وبات مدفونا تحت مياه الصرف الصحي في قلب القاهرة !كلما تأملت في حياة الوليد بن المغيرة وقفت على ملمح عجيب من ملامح النفس البشرية ، فهذا الرجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ويسمع منه القرآن ثم يعود إلى أندية المشركين ويقول لهم : والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وأنه يعلو وما يعلى عليه ، ثم يتركهم عائدا إلى بيته ..

ولما قوبل بانتقاد شديد بقي لبرهة يفكر في الأمر، ولما أيقن أن السيادة والزعامة سترحل عنه قرر أن يعدل عن رأيه ويؤيد قريشا فيما ذهبت إليه ، ويموت على الكفر ؛ فلم تبق له سيادة بعد موته ذلك أن القرآن ما ذم أحد من البشر مثلما ذم

الوليد ، بدا ذلك في قوله (ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد إلى نهاية قوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر ..

إن هذا المقام الذي وضع الوليد فيه نفسه لهو مقام الجاهلين بالله ، ذلك أن من رفعه الله فلن يضعه أحد ، ومن وضعه الله فلن يرفعه أحد ، وانظر إلى سعد بن معاذ على سبيل المثال ..فلئن كان الوليد سيدا من سادات قريش ، فسعد رضي الله عنه كان من سادات وزعماء الأنصار ، لكن الأخير قرر أن يدين بدين الله ، فضمن الله له السيادة والزعامة في الأرض علاوة على ضمان السيادة في السماء ، فلقد شيعه ٧٠ ألف ملك ، واهتز لموته عرش الرحمن ، وحضر دفنه خير الناس (محمد) وخير الملائكة (جبريل) ، وخيار الناس من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم !ملمح آخر من قصة الوليد يبعث الأمل في النفوس .. لقد كان الوليد رأسا من رؤوس الكفر ، وهب حياته لقتال النبي ، والتآمر على دين الله ، ويشاء الله أن يخرج من صلبه سيدنا خالد بن الوليد الذي قال فيه النبي (خالد سيف من سيوف الله) ، ولأن النبي وصفه بذلك فيمكننا أن ندرك لماذا يموت خالد على فراشه ولم يمت في معركة بانكسار سيفه ، رغم كثرة الحروب التي خاضها .. فسيف الله لا يكسر !

نعم سيف الله لم ولن يكسر ، ودين الله منصور ، والفالح من بحث عن أسباب السيادة في الآخرة لأنها الباقية ..

خطأ يقع في أغلبنا

من الخطأ الشديد أن تمدح المرأة رجلا أمام زوجها ، وكذلك أن يمدح الرجل امرأة أمام زوجته ، حتى لو كان هذا الرجل زوج سابق لها ، أو كانت المرأة الممدوحة زوجة سابقة ، فضلا عن أن تكون زميلته في العمل أو نحو ذلك !

في الأيام التي سبقت معركة القادسية ، أبلى سيدنا المثنى بن حارثة بلاء حسنا أمام جيوش الفرس ، وفي تلك الأثناء كان سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين في المدينة يجهز جيش المسلمين بقيادة سيدنا سعد بن أبي وقاص لقتال الفرس ، وقبل أيام قليلة من دخول سعد إلى أرض المعركة ، كان سيدنا المثنى القائد المغوار على موعد مع الموت إثر جروح شديدة ألمت به !

لكنه قبل موته كان قد أوصى أن تتزوج سلمى زوجته من سيدنا سعد بن أبي وقاص ، وكتب بذلك لأخيه (المعنى بن حارثة) ولما انقضت عدتها حملها أخوه إلى سيدنا سعد تنفيذا للوصية !

وما هي إلا أيام من بدء المعركة إلا ويصاب سيدنا سعد بدمامل في جسده فلم يتمكن من ركوب الخيل ، أو مباشرة القتال بنفسه ، فاتخذ رجلا واسطة بينه وبين الجند يبلغهم الأوامر ، ولم يكن النصر حليف المسلمين في البداية ، بل كانت الكفة راجحة لجيش رستم الذي جعل الفيلة في صدر جيشه ، فانبرت

سلمى زوجة سعد بعد المثنى تقول : (وا مثناه ، ولا مثنى للخيل بعده) ، فلطمها سعد لطمة كادت أن تفصل رأسها عن جسدها !

لاشك أن هذه المرأة تعلم قدر سعد ، فهو رضي الله عنه من الفرسان الشجعان، ولا يقل شجاعة عن زوجها السابق المثنى بن حارثة .. فلماذا تفوهت بهذه الكلمات الغاضبة ؟!

في تصوري إن المرأة إذا أكرمها الرجل كبر في عينها ، وعظُم قدره في قلبها ، حتى لو تزوجت بعده ، والمرأة الأصيلة لا تنسى عطف الرجل عليها ، وتتفاخر بقوته وشجاعته وإقدامه ، ولا يعجبها في الرجل مكوثه في البيت ، وقلة حركته ، وجبنه ، حتى لو كان أجمل الناس شكلا وهيئة !

وربما لأن سيدنا المثنى يعرف قدر سلمى قرر أن يكرمها على طريقته حتى بعد موته ، فلقد أوصى أن تتزوج قائد جيش المسلمين ، وهو من المبشرين بالجنة ، فيكون زواجها منه برا منه لها .. وربما لأنه يعلم عنها أنها امرأة حكيمة فأراد أن يستفيد من ذكائها وغيرتها على المسلمين في المعركة .. وهذا ما حصل !

كان بجيش المسلمين (أبو محجن الثقفي) ، وهو من الفرسان الشجعان ، لكنه ورغم أنه في معركة كبيرة ، لم يتوقف عن شرب الخمر ، فحبسه سيدنا سعد ، ولما اشتدت المعركة وكان أبو محجن يتابع أخبار المعركة ويشتد غيظه حين يسمع أخبارا غير سارة ، فاستعطف زوجة سعد (سلمى) أن تفك قيده ليذهب إلى المعركة ، ففكت قيده ، وركب فرس سعد (البلقاء) ودخل في

وسط الجيش يضرب رؤوس الفرس ، لدرجة أن بعض المسلمين قال في نفسه : (لولا أننا نعلم أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا إن هذا ملك !)

على الجانب الآخر وقف سيدنا سعد وهو في قمة الاستغراب يقول في نفسه : هذا الضبح (صوت الخيل) ضبح البلقاء ، والطعن طعن أبي محجن .. لكنه في قيده !

وبعد النصر المبين عاد أبو محجن إلى قيده ، وجزاء لوفائه عفا عنه سعد ، وأكرم زوجته التي تستحق التكريم ..

*****

الزير سالم وحرب البسوس

في عام ٢٠٠١ م ، سافرت لدولة عربية أثناء الإجازة الصيفية ، وأول ما استوقفني في تلك الدولة ؛ اختفاء الناس من الشارع وقت إذاعة مسلسل (الزير سالم) ، فقلت في نفسي : لعله مسلسل متقن مثير ، وإلا لماذا أجمع الناس عليه ، ولما بحثت في أصله وجدته يغذى النعرة القبلية ، فأدركت سر انجذاب أهل تلك البلدة القبلية له !

مسلسل (الزير سالم) واحد من أهم المسلسلات التاريخية ، إذ يعالج حقبة زمنية عصية على الفهم والتحليل ، فهي أول فترة زمنية يصلنا من أخبارها شعر ، يندر فيها المعلومة ، ويغيب عنها الحقيقة ، وكان الشعر الذي رافق حرب البسوس التي استمرت ٤٠ سنة على بعض الروايات هو الوسيلة الناجعة لتوصيف تلك الحقبة الزمنية ..

يقول البعض إن سبب حرب البسوس (ناقة) وهذا الكلام غير صحيح على الإطلاق ، ففيه سطحية شديدة ، وسفاهة تجهل نفسية العرب ونمط تفكيرهم ..

وفي هذه الخاطرة سأقف على سبب الحرب الحقيقي مع التعريج على مجموعة من القيم التي ما أحوجنا إليها الآن رغم أنها قيم تأسست وترعرت في الجاهلية !

حرب البسوس .. قامت بين قبيلة (تغلب بن وائل) وقبيلة (بكر بن وائل) وهما كما يتضح من الاسم أبناء عمومة وأهل .. كان الزعيم الأوحد لهما (كليب بن ربيعة التغلبي) وكان ملكا يهابه الناس ، ولكي تعلم أي منزلة كانت له ، عليك أن تدرك أن العرب قبل الإسلام لم تجتمع مطلقا على أحد إلا ثلاثة ، كان آخرهم كليب هذا..

لقد قاد كليب قبيلته لحروب كثيرة على أهل اليمن ، وحقق انتصارات متتالية كانت سببا في تتويجه ملكا عليهم .

ولما آلت إليه مقاليد الأمور تكبر ، وأصابه الغرور ودخل في نفسه الزهو ، وشرع في ظلم أبناء عمومته من بني بكر بن وائل ..

والعرب كانت لديهم أنفة شديدة ، وكان الرجل يكره أن يحلق شعره لأنه يضطر حين الحلاقة أن ينحني أمام الحلاق ، لكنه مع أنفته كان يتميز بالصبر الشديد ، وفي حالة إصرار طرف على اختبار صبر طرف آخر فإن الأنفة تظهر في الأفق ولا مجال حينها للحديث عن التبعات ..

هذا ما حصل في حرب البسوس ، فلقد قرر (بنو بكر) أن يصبروا على ظلم بني تغلب وزعيمهم كليب التغلبي ، لكنه لما قرر أن يقتل ناقة لبني بكر ، بدت ملامح معركة كبيرة تلوح في الأفق .. فكليب لم يقتل الناقة وحدها ، بل ضرب

أنفة أبناء عمومته وخسر في الرهان على صبرهم ، فهب رجل يدعى (جساس) من بني بكر وقتل الزعيم الأوحد (كليب التغلبي) ..

في هذه الأجواء المحتدمة يظهر رجل حكيم لغاية ، حري بالزعماء أن ينهلوا من حكمته رغم أن الإسلام لم يصله ، ولم ينهل من ينبوع النبوة المطهرة ، لكنها الفطرة السليمة ، وكرم الأخلاق الذي جاء الدين ليستكمله .. يدعى هذا الرجل (الحارث بن عباد) .. كان قد اعتزل الحرب من الأساس ، ومحسوب على (بني بكر) التي منها (جساس) قاتل كليب ..

لقد أرسل (الحارث) ابنه إلى (الزير سالم) الأخ الشقيق لكليب ، ليستعطفه ويهدأ من روعه ، فلم يتحل الزير سالم بأخلاق العرب وقتل رسولا من قبيلة أخرى ، ولما وصل الخبر إلى أبيه الحارث ، قال : إن كان دم ابني مقابل دم كليب فأنا راض ، ولتهدأ الحرب وتتوقف ، ومنطق الرجل أننا أبناء عمومة وأهل ولابد من القضاء على روح الكراهية التي انتشرت في القبيلتين ، وما أروع قوله : نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل !

لكن الزير سالم وكان متعجرفا ، قال وهو يقتل ولد الحارث : هذا بشعث نعل كليب ، يقصد أن هذا الفتي الذي قتل يمثل ، رباط حذاء كليب !

علم الرجل أن (الزير سالم) وقبيلته (تغلب) ، لن يهدأوا ، فقرر أن يعلن الحرب حتى يؤدب الباغي ، وهنا شرع الرجل في إعداد خطة عسكرية غاية في

الإبداع ، فقد أمر النساء كلهن أن يذهبن مع الجيش ، لسببين ؛ الأول : أن يعالجن جرحى قبيلة بكر ، والثاني : أن يقتلن من جرح من قبيلة تغلب ..

هنا برز سؤال : كيف تعرف النسوة الجرحى من قبيلة تغلب ؟

قرر أن تقوم القبيلة كلها بحلق الرؤوس ، ليحصل التمايز بين جرحى القبيلتين ، وبالفعل قامت القبيلة بحق الرؤوس إلا رجلا واحدا ، قتل لاحقا على أيد نساء قبيلته لأنه لم يلتزم بالقرار العسكري !

ولذلك سميت هذه المعركة بيوم التحالق .

دخلت (بكر) الحرب ومعها الحق ، ومعها إستراتجية عسكرية متقنة ، مبتكرة ، فهزموا تغلب هزيمة نكراء ، ومن أبرز الأحداث فيها أن الحارث بن عباد أسر الزير سالم ، ولم يكن يعرفه !

فقال الحارث للزير سالم : سأطلق سراحك إن لبيت رغبتي ، وهذا عهد علي بذلك ، فقال الزير سالم ، وما هو طلبك ؟

فقال أن تدلني على الزير سالم ، وأخذا العهد على ذلك ..

فقال الزير سالم : أنا الزير سالم !

فالتزم الحارث بوعده ، ووفي لعدوه بعهده ، وهو كافر ابن كافرة !

إن العرب ليست على القبح الذي يحلو لبعض الأكاديميين والوعاظ أن ينقلوه لنا ، بل كانت فيهم شهامة ورجولة ، ووفاء بالوعد ، والأنفة ، مع الصبر ،

فهذا أبو جهل لم يستجدي عبد الله بن مسعود بل سبه وهو واقف على صدره يوم بدر !

ولم تكن العرب بهذه الصورة المقيتة التي هم عليها الآن ، فلقد شك الأصمعي – وهو الضليع في اللغة – في لفظ استخذى التي هي بمعنى "خضع" وأحب أن يستثبت: أهي مهموزة أم غير مهموزة، قال: فقلت لأعرابي: أتقول استحذيت أم استحذأت؟

قال: لا أقولهما!

فقلت:

ولم؟

قال: لأن العرب لا تستخذي "لا تخضع"

*****

الحرب التي استمرت أربعين عاما

لئن كان البعض عزا سبب حرب البسوس لـــ(ناقة)فإن البعض عزا سبب هذه الحرب لـ(خيل) !

(داحس) و(الغبراء) اسمان لفرسين ، الفرس الأولى مملوكة لرجل يدعى (قيس بين زهير) من قبيلة (عبس) ، والفرس الثانية مملكوكة لرجل يدعى (حمل بن بدر) من قبيلة (ذبيان) ، وكلا القبيلتين من غطفان .

لما هجم اللصوص على قوافل النعمان بن المنذر أوعز بحماية القوافل لقيس بن زهير ابن قبيلة عبس ، وصاحب (داحس) مقابل أن يعطيه مالا كثيرا ، الأمر الذي أشعل الغيرة في قلوب أبناء القبيلة الأخرى

(ذبيان) ، ولكي تهدأ الغيرة في القلوب اتفقا الطرفان؛ممثل قبيلة عبس وممثل قبيلة ذبيان على الرهان ومن يكسبه يكلف بمهمة حماية قوافل النعمان ويستحق الجائزة المرصودة ، غير أن غدرا قد لاح في الأفق ، فلقد أوعز حمل صاحب الغبراء إلى بعض أتباعه بقتل داحس ، لو سبقت الغبراء ، وهيأوا الأسباب لكي تفوز الغبراء في السباق ، وحينما كشف الأمر نشبت الحرب بين عبس وذبيان ..

قد يصور أحدهم أن العرب همج ، يقتتلون على فرسين ، وإلي أي مدى وصل الانحطاط بهم ليقيموا حروبا ، لمدة أربعين سنة دون توقف راح فيها دماء

كثيرة ، وأموال باهظة ، وأرواح مقدرة ، لكني ألتمس لهم فعلهم ، لأنهم لم ينهلوا من نور الوحي ، وينبوع السنة ، ولا ألتمس العذر للأخت الشقيقة التي تخاصم أختها لأن ابنها ضرب من ابن اختها أثناء الزيارة ، في فترة لعبهم ، ولا ألتمس العذر للجار الذي يخاصم جاره لسنوات لأنه لم يقم بالواجب معه في موقف من المواقف ، ولا ألتمس العذر لأخ خاصم أخته عقدا من الزمن لأنها تجرأت وطلبت حقها في أبيها ، ولا ألتمس العذر لمن أقام حربا من الكراهية ضد أهله لا لشيء سوى نزوات النفس وكبريائها !

بعيدا عن أحداث الحرب ، ومن زاوية أدبية وإنسانية ، لقد أفرزت الحرب نماذج شامخة في الإنسانية والرقة وتتويجا عمليا لمجموعة من القيم الرائعة ..

الشعر ديوان العرب ، ولولا الشعر والشعراء ماعرفنا شيئا عن الأزمنة الغابرة، ولقد عرفتنا حرب داحس والغبراء على الشاعر العربي العبقري ، عنترة بن شداد ، وكلما قرأت للرجل قلت في نفسي ، سبحان الله ما كل هذا الجمال ، كيف لبدوي جلف أن يقول هذين البيتين :

وَلَقَد ذَكَرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ – مِنّي وبِيضُ الهِندِ تَقطُرُ مِن دَمي

فَوَدَدتُ تَقبيلَ السُيوفِ لأَنَّها – لَمَعَت كَبارِقِ ثَغرِكِ المُتَبَسِّمِ

نواهل : أي تنغرزُ في جسدي فتَنهل منه اللحم.

بيض الهند : السيوف المصنوعة في الهند.

بارق ثغرك : اللمعة التي تكون على الشفتين

كيف صور له عقله كل هذا الخيال ، وكيف يتذكر من يحب وهو في قلب المعركة .. هل كانوا أجلاف حقا ، منزوعي المشاعر بالفعل ؟!

النموذج الأخر متمثلا في (الحارث بن عوف) و(هرم بن سنان)، وكيف قررا أن يدفعا الديات وينهيا الحرب ، ويقيما صلحا وحد بين أبناء العمومة .

النموذج الثالث ما كان بين هرم بن سنان والشاعر الفصيح زهير بن أبي سلمى، الذي مدح صنيع هرم بن سنان في الصلح بين القبيلتين ، وكرم هرم مع زهير، لدرجة أن يقسم على ان يعطي زهيرا مالا كلما سلم عليه لأنه امتدح صنيعه ، فكان الأخير خشية من أن تذهب أموال الرجل كلها إذا دخل مجلسا وبه هرم بن سنان يقول : عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت !

داحس والغبراء وإن قامت في الظاهر بسبب سباق بين فرسين إلا أنها وجدت بالأخير من ينهيها ويقيم الصلح بين المتنازعين ، وأفرزت لنا نماذج غاية في الرقي والشهامة والشجاعة ، علاوة على أنها نشبت في الجاهلية ، ومن الخطأ أن نجعل من أحداثها مرجعا يعكس نفسه على الواقع العربي المعاصر !

*****

مواقف الدعاة من سورة يوسف

صلى الإمام بالآيات الأخيرة من سورة يوسف وتحديدا من قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ، وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون .. إلى نهاية السورة ..

وعندما فرغ الإمام من الصلاة ، سأله أحد المصلين :

هي دي سورة إيه يا مولانا الشيخ ؟

فأجابه :

سورة يوسف !

فقال الرجل : لا لا .. مش سورة يوسف دي ، لو كانت سورة يوسف أمال فين وراودته التي هو في بيتها ، وبقية قصته مع امرأة العزيز !هذا الرجل وغيره هو في الحقيقة إفراز للخطاب الوعظي المنتشر على ألسنة كثير من الدعاة والوعاظ ..في الواقع غاب عن كثير من الدعاة والعلماء قضية الطرح المتزن الذي يعزز النظرة المادية والروحية معا ، فتركز الخطاب على القضايا المادية على حساب القضايا القيمية الأخلاقية الفكرية التي تضبط الواقع ، وتحدد معالم المستقبل .. وتخلق المسلم المتوازن الذي يراعي حظه من الدنيا ، وسعيه إلى الآخرة !

من المؤسف أن تكون سورة يوسف في المعالجة الوعظية محصورة على موقف امرأة العزيز ، وحين يذكر اسم النبي لا يذكر معه إلا (فتنة النساء) في حين أن الله وصفها بأحسن القصص ، لما اشتملت عليه من جوانب حضارية وروحية وسلوكية كفيلة بتحقيق الرقي الفردي والمجتمعي ..

أين معالجة (الصبر) بأنواعه .. صبر عن المعصية ، وصبر على الطاعة ، وصبر عند وقوع قضاء الله وقدره !

أين التركيز على (التخطيط الاستراتيجي) ودوره في حل المشكلات في ضوء فكر سيدنا يوسف الذي حمى به البلاد من وقوع مجاعة محققة ؟!

أين التركيز على (العفو) مستلهما من عفو يوسف عن إخوته ؟!

أين التركيز على (الإشاعات) وأثرها على سلامة المجتمع ؟!

أين الأبحاث والدراسات التي تغطي زاوية المشاعر النفسية التي وردت في القصة مثل (الصراع النفسي ، الغيرة ، الحسد ، الأحلام) ؟!

أين التركيز على (القصة) في الأساليب التربوية ؟!

أين جانب (صفات الداعية) كما وردت في السورة ؟!

أين فقه الدعوة كما جاء على سلوك سيدنا يوسف ، خصوصا مع نزلاء السجن الذي سجن فيه ؟

أين إبراز سلوك رجل الدين ونمط التربية الإسلامية غير المحصورة على أمور تعبدية فقط منعزلة عن الحياة وتعقيداتها في ضوء (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) ؟!

أين التركيز على قضية الخطاب القرآني الرامي إلى تنشئة الإنسان المؤمن ، الذي يحب وطنه ، المتحلي بالأخلاق ، السائر في الأرض بدعوة التوحيد ، لا يكفه عن تبليغها إلا الموت ، مع تعزيز جوانب الشخصية الجسدية والروحية والوجدانية والاجتماعية ؟!

أين تذكير العقل المسلم بنعمة الشدة ، ونعمة الرخاء ، وإبراز المنح فيهما ، تصديقا لقول النبي (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ...) ؟

أين وأين وأين ؟!

*****

رفقا بالقوارير

إنها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، رضاعة لولدي ، ويسكن بها قلبي عن الحرام .. فأنا تحملتها لذلك !

بهذه الكلمات ابتدر الفاروق عمر بن الخطاب حديثه للرجل الذي جاء إليه يشكو من خلق زوجته ، ولما توقف عند باب عمر سمع زوجة عمر تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت ، فانصرف وهو يقول في نفسه :

إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فكيف حالي ؟!

على ما في هذه الحادثة من ضعف ، له أصل ، فقد أوردها البجيرمي الفقيه الشافعي في "حاشيته على شرح المنهج ، السمرقندي الفقيه الحنفي في كتابه "تنبيه الغافلين" وكذا ابن حجر الهيتمي في "الزواجر" إلا أنها تعكس جمالا يليق بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

يعظم في نفس القارئ هذا الجمال ، حينما يدرك أنه نابع من شخصية تتمتع بهيبة عظيمة لم تكن محصورة على بني البشر وحدهم ، بل وصلت إلى الشيطان نفسه، إذ كان الأخير لا يقوى على السير من طريق يمر به عمر خشية منه .. جمال يشبه جمال الماء العذب الزلال الذي يخرج من بين صخر صلد أسود اللون داكنا !

لقد مكث ابن عباس رضي الله أياما وشهورا يريد أن يسأل عمر عن تفسير آية فما استطاع هيبة له ، وخاف بعض الصحابة أن يصلوا في الصف الأول هيبة منه كعمرو بن ميمون ، وذات يوم كان يمشي بطريق وخلفه بضع نفر ، فالتفت عمر فجأة فسقطوا من شدة الخوف ، وكان بعضهم يقسم أنه لم يستطع أن يديم بصره لعمر رهبة منه ، وفي مرة جلس بين يدي الحلاق ، فعطس ، فأحدث الحلاق ، يعني (عملها على روحه) من شدة الخوف ، ويوما قال له رجل إنك ملأت قلوبنا مهابة ، فقال له عمر أفي ذلك ظلم ؟

فقال الرجل لا ، فقال عمر : فاللهم زدني مهابة في صدوركم .

انظر إلى هذا العملاق الذي كان يهابه الناس والجن ، وما دونها وهو ينصح الرجل الذي جاءه شاكيا من خلق زوجته بالصبر عليها ، لأنها في المقابل تتحمل هي الأخرى أعباء كثيرة ، وانظر إلى كثير من الخلق وهم يعتقدون أن الهيبة في إهانة المرأة الضعيفة ، يستعملون الرجولة عليها لا لها ، فتضيع العشرة بالمعروف ، ويحل محل الود والرحمة الخوف ، فيضعف بنيان الأسرة ، وتخرج للمجتمع نماذج مشوهة ، فالأولاد الذين تربوا في بيت يرون فيه أمهم تهان وتُضرب لن يكونوا أسوياء يقينا ، والمرأة التي تربت على الإهانة لن تكون نصائحها لبنتها التي على وشك الزواج مسددة ، بل مشوهة ، وصدق رسول الله : لا يكرمها إلا كريم ، ولا يهينها إلا لئيم !

صخر والخنساء

لم يكن صخرا هو الأخ الوحيد للخنساء ، بل كان لها أخ أخر يدعى معاوية ، لكنها كانت تحب صخرا حبا لم أقف على مثله في تاريخ العرب .. ومن يقرأ مرثيتها الشهيرة في أخيها صخرا يدرك ذلك !

ما السر وراء ذلك الحب العنيف ؟!

كان الجو جميلا بالأمس ، فأيقنت أنه الجو الملائم لتذوق الشعر ، فقرأت أبياتا في قصيدتها الشهيرة (قذى بعينكِ امْ بالعينِ عوَّارُ) فلان قلبي ، وراحت العين تعبر عن فرحتها بجمال النص ، وحلاوة المشاعر ، فدعوت لتماضر !

اسمها (تماضر بنت عمرو السلمية) ، لا أعرف لها مثيلا في الشعر العربي من جنس النساء ، فقد تفوقت عليهن كلهن ، بل وتفوقت على العمالقة من الرجال في الشعر الجاهلي وفي صدر الإسلام وما تلاه من عصور ..

مليئة قصيدتها التي ترثي فيها صخرا بالحكم الجميلة ، والعاطفة الجياشة بين الأخت وأخيها ، فما أن تصل إلى الأبيات الأخيرة فيها إلا وقد سُر القلب ، وأشرق المحيا ، ولان القلب ، وعظم الحب للأم والأخت والزوجة والبنت .. وتوقف العقل عند المهازل التي تحدث الآن بين الأخوة والأخوات في البيت الواحد ، وخرجت بقناعة مفادها : من كان لديه أخت فليكرمها ويتفنن في ودها وتقوية صلته بها !

تقول الخنساء عن أخيها :

وإن صخرا لوالينا وسيدنا

وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

حمال ألوية ، هباط أودية

شهاد أندية ، للجيش جرار

إن المرأة .. سواء أكانت زوجة أو أختا لا تبالغ في الثناء على زوجها أو أخيها إلا لو كان بالفعل يكرمها بإحسان ، ويحنو عليها بشدة ، ويقدرها بقوة ..

ما الذي جعل الخنساء تذوب في حب أخيها صخر ، ولا تبرز هذه العاطفة لأخيها معاوية ؟

لأن معاوية كان يقسو عليها ، وذات مرة أرغمها على الزواج من رجل لا تحبه ، ولم يكن به من صفات الكمال البشري ما يجعل أخته تفاخر به ، بل كان يترصد للنساء في الطرقات ، يغازلهن ، حتى المتزوجات منهن ، على عكس صخر ، فقد كان سيدا في قومه ، إذا دخل الشتاء قام بنحر الإبل من أجل توفير الطعام لمن يعول فكما هو معلوم أن الشتاء مما يصعب الصيد فيه في البر ، ويشتد فيه الجوع بعكس الصيف .

كمأ أنه إمام يهتدي به الناس في الحكمة ، وسداد الرأي ، يرونه الناس من بعيد كما يرون النار في رأس الجبل ، وهو مع ذلك حمال ألوية ما يدل على شجاعته ، هباط أودية يعني كثير السفر والترحال ، يكره السكون والميل إلى الراحة ، كعادة النساء ، شهاد أندية يعني كثير الجلوس في مجالس القوم ، ما يعني أنه رجل حكيم كريم ، إذ كان الجلوس في هذه المجالس للرجال الحكماء الفصحاء الكرماء ، فالذي يجلس بين القوم لابد وأن يحسن البيان ، ويملك القدرة على الإنفاق وتحمل تبعات المجالس من إكرام الضيوف وغيرها ، للجيش جرار ، يعني قائدا مغوارا شجاعا ..

والمرأة صاحبة الفطرة السوية لا تتوقف كثيرا عند لون بشرة الرجل ، ماركة قميصه ، ونظارته ، ولون سيارته ، ونوع الجيل الذي يستخدمه على شعره ، وإنما يأسرها قوته وشجاعته ، وإقدامه وكرمه ، وسعيه ، وعذب لسانه ، وفصاحته ، ولينه مع أهله .

*****

بين الحطيئة والزبرقان

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أديبا ، شاعرا ، يتذوق الشعر كما لم يتذوقه غيره ، وكان ناقدا للشعر حتى ولو لم يكتبه ..

عندما تدرك هذه المقدمة تقف على عظمة هذا الرجل العجيب الذي كلما قرأت عنه تمثل لي من اجتمعت فيه خصال الكمال البشري ، قوة لا حدود لها ، مع عاطفة إنسانية لا سقف لها ، حري بكل محضن تربوي أن يطرحه على موائد التربية عند كل وجبة تربوية !

قال الحطيئة شعرا يهجو فيه الزبرقان جاء فيه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

ففهم الزبرقان أنه الحطيئة يهجوه فشكاه إلى أمير المؤمنين عمر ، ومع علم عمر بالشعر وأساليبه قال للزبرقان : ليس في شعره هجاء وإنما عتابا ، مريدا بذلك إقامة الحجة على الحطيئة ببينة لا لبس فيها ..

وبينما كان عمر يقنع الزبرقان أن الأمر لا يخلو من عتاب لعل الرجل يسامح ويذهب ، ثم يقوم هو بعتاب الحطيئة لاحقا ، كان قد أصدر أمرا بحضور حسان بن ثابت وهو واحد من (صنايعية) الشعر ليقول كلمته من وجهة نظر فنيه ، بما يعلي من قيمة احترام التخصص ، فإذا بحسان يؤكد أن الشعر لا يخلو من هجاء عنيف ..

عندها لم يكن أمام الحاكم المسلم إلا أن يصدر أمرا بعقاب المخطئ ، فأودع الشاعر الحطيئة في السجن ! ولعلم الحطيئة بأن عمر شاعر كبير ، وذو ذائقة أدبية رفيعة قرر أن يقول شعرا يستعطفه ، فأشعر يقول :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

يقصد تنبيه عمر أن لديه أطفالا صغارا لا عائل لهم إلا هو ، فكيف بهم وهو قابع في السجن ! فبكى عمر وأطلق سراحه ..

لكن ماذا عن حق الزبرقان ؟

لقد قرر عمر أن يشتري عرض المسلم بثلاثة ألاف درهم ، واشترط على الحطيئة ألا يهجو مسلما مرة أخرى وإلا قطع لسانه !

في القصة :

• خطأ بشري من خيار الناس ، ما يعني أن أفضل المجتمعات حتى التي نهلت من ينبوع التربية المحمدية لا تخو من عيوب وأخطاء ، ولا وجود لتجمعات بشرية لا تخطئ أبدا ، والإنسان يقيم بخيره وشره ، والحكم لمن علا منهما .

• إنسانية عمر ورحمته برعيته ، وحسن تصرفه في المواقف معتمدا على روح القانون ، ثم القانون .

• احترام التخصص ، وتقديم أهل الكفاءة والتخصص على أهل الثقة حتى يحسن تنزل القيمة جلية على أرض الواقع .

محمود الجنايني

اتصل أحد إخواننا السعوديين من أهل هذه البلدة الطيبة بشركة متخصصة في تقنية المعلومات يطلب مهندسا أو فنيا لإصلاح عطل ما بقصره ، ويبدو أنه ضحية للإزعاج الناتج عن كثرة الإعلانات الخاصة بتنسيق الحدائق ومقاومة الحشرات على غرار الألمانية لمقاومة الحشرات في مصر ..

توجه صاحبنا الفني من الشركة التي اتصل بها الرجل ، إلى العنوان ، وكان مصريا ، ووضع يده على زر (الانتر كوم) ولما أجابه صاحب القصر بادره صاحبنا باسمه قائلا : معك محمود الجنايني

في أقل من ثانية كانت إجابة الرجل لا تخلو من غضب : شكرا مش عايزين !

يصر الرجل صاحب القصر على عدم حاجته لخدمات محمود الجنايني ، بينما يصر محمود الجنايني على عدم ذكر أي معلومة غير اسمه ، بينما يعتقد الطرفان أنهما صائبان !

ولو تركت القصر وتراجعت للخلف قليلا ، ستدرك أن الرجل بالفعل لا يريد (جناييني) لحديقة قصره ، بينما يعتقد الفني المصري الذي يدعى (محمود الجنايني) أن الرجل طلب خدمة معينة وأنه ما جاء إلا إليها ، وربما ظن في نفسه أن الرجل قليل الذوق لأنه تسبب في إجهاد موظف بشركة ولما جد وتعب ووصل إلى العنوان تراجع عن طلبه في آخر لحظة !

لا تخلو حياتنا من هذا النموذج ، حتى في أمورنا العادية ، وتجاربنا اليومية ، غير أن وقع الأمر شديد على النفس في أوقات الحزن ، فالنفس في تلك الحالة لا تقوى على المجابهة ، والتعاطي ..والتربية العظيمة هي التي تدرب الشخص على سعة البال ، والتماس العذر ، والنظر للأمور بنظارة بانورامية ، ترى الأمر من كل جوانبه ، ويدرك المتربي معها أن كل شيء في هذا الحياة قابل للأخذ والرد ، عدا كتاب الله وصحيح سنة رسول الله القولية ، والفعلية .. ولفت انتباهه إلى أنه لا يرى الأمور والظواهر كما هي عليه ، بل يراها كما هو عليه ..

إن التعامل مع الآخرين في بيئات ملغمة بالأفكار المتباينة ، وأجواء مفعمة بالكراهية والحقد والقسوة فن من أعظم الفنون ، وقليل من الناس من يدركه ، بل إنه بحاجة إلي تربية طويلة ومهارات ذاتية بعضها موروث وبعضها مكتسب ..كن مدركا أنك لا تقول إلا ما تفرزه البنية المعرفية لديك ، وتصورك للأمور مبني على خلفيتك أنت ، وتفسيرك للأشياء مبني على نظرتك أنت ، وقد لا تدرك أن بنيتك المعرفية ناقصة ، فلا ترى في نفسك جملة من العيوب التي تنفر الناس منك ، وتبعد الأخيار عنك ..

محال أن ترى تشابها بين البشر ، لكن المشاكل لا تأتي من اللاتشابه ، بل تأتي من ضعف التعامل مع هذا الاختلاف ، ومما يقوي قدرتك على التعامل أن ترى الأمور من منظور الطرف الآخر وتتفهمها ، ولا شك أن هذا يتطلب وعيا وعقلانية وتجردا من العاطفة والقدرة على الاستماع ..

طلب غريب

من شدة حبي للتدريس ، تلك المهنة المحببة إلى قلبي لأسباب أغلبها لا شعوري ، مارستها فترة بالتزامن مع عملي بالصحافة ..وذات يوم فوجئت بأن والد فتاة لم تبلغ الثانية عشر من عمرها يطلب مني طلبا غريبا ، لم أسمعه من أي ولي أمر قبله ... ولا بعده !لم يتصل بي ذلك الأب ويدفع لي لأقوم بتدريس المواد المعروفة عند كل طالب ، فلقد كان طلبه أن أعلم ابنته الكلام وكيفية التعبير !كان الرجل يرى أن ابنته ذكية عبقرية ، لكنها لا تحسن التعبير عما بداخلها ، وحين تريد ، لا يسعفها لسانها ، فتتداخل الكلمات وتتشابك المعاني ، فلا يستطيع من تحادثه أن يفهم من كلامها شيئا ، فتدخل البنت في نوبة من الحزن ، الذي يعزز ضعف الثقة في النفس! جلست مع البنت جلسات طويلة ، وبفضل الله تحسنت ، بشكل كبير ، ويبدو أنها ستكون واحدة من أمهر الإعلاميات في مصر! النمط التربوي الذي تسير عليه غالبية بيوتنا اليوم ، يساهم في تفاقم مشكلة ضعف البيان عند كثير من الأطفال ، فالمبالغة في عدم السماح للطفل باتخاذ قراراته ، في المساحة المتاحة لا يحفزه على التفكير ، والتعبير ، كما أن استخدام أسلوب السيطرة وفرضه على الطفل مهما كان المبرر لا يحقق بالأخير إلى إضعاف مساحة التعبير الخالية من الخوف ..تتعاظم الإشكالية مع بروز التطور التكنولوجي الذي أفرز مواقع التواصل الاجتماعي

، فبدلا من التقاء الأسرة أو الأهل أو الأصدقاء على جلسات نقاشية يعبر كل واحد عن مراده بلسانه صارت وسيلة التعبير لوحة المفاتيح التي لا يظهر مع مفرداتها تعبيرات الوجه ولغة الجسد ، فلا تصل الرسالة حاملة للمعنى بشكل واضح ، فتنبري جملة من التصورات المغلوطة ويفسد الحب من حيث أراد الطرفان تقويته ! لقد كان العرب قديما يحرصون على تعليم أبنائهم الكلام في البادية ، ويدفعونهم لحفظ الشعر ، ويجلسوهم في مجالس الكبار ليروا بأم أعينهم كيف يتكلم الكبار الفصحاء ، فتتسرب إليهم الحكمة وملكة البيان ويوصونهم بتحسين حديثهم ، فكان الرجل منهم يوصي ابنه بقوله "يا بنى إنّما الإنسان حديث فإن استطعت أن تكون حديثاً حسناً فافعل! أشفق كثيرا على الأولاد فضلا عن الرجال الذين يخجلون أشد الخجل إذا ما وجدوا في أي تجمع بشري ، بشكل يفقدهم السيطرة على مشاعرهم !

ولا أدري لماذا يبهرنا في الشخص ذكاؤه العلمي ، في حين أنه قد يكون عالما في فن من الفنون ، لكنه غير قادر على التواصل مع الآخرين لضعف في شخصيته ، وقصور في مهارات التواصل والتعامل مع الناس ، وكثيرا ما يصاب بإحباطات متواصلة ، وغالبا ما يخرج منهزما في كل علاقة ، وحقيبته لا تخلو من الإيدروناكس ، والسيتالوجين ! تحدثوا مع أبنائكم ، وناقشوهم ، وأتيحوا لهم فرصة للتعبير عن أنفسهم ومتطلباتهم في جو من الحب والتقدير ..

فاطمة عيد سابقة عصرها !

هل كانت الفنانة الشعبية (فاطمة عيد) أكثر وعيا وأكبر نضجا من كثير من الذي حولوا الزواج من مشروع مودة وسكن وسرور إلى قضية حبس وسجون وخراب دور !

حين كنت طفلا ، كنت أستمع إلى صوت فاطمة الجهوري المعبر عن طينة هذا البلد وهي تقول :

سيبه يا بابا سيبه ، يجيب اللى يجيبه

اقعد وشوفه، وافهم ظروفه ، مقدرش أفوته ، راضيه بشروطه

مش عايزه قابله ، ولا عايزه بعده ، ومدام شرينى لازم تساعده

لو شقه فاضيه أنا بردو راضيه مهو بكره الغالي راح يملهالى

لم تكن فاطمة تغرد خارج السرب ، بل كانت المنظومة في معظمها تعمل في تناغم ، الأعراف والتقاليد ، وغض الطرف عن كثير من الشكليات والجوانب الكمالية ، مع شهامة الشباب وسعيهم في تحصيل الرزق ، وحياء البنات وثقتهن بأنفسهن .

مع كثرة القنابل الموقوتة في المجتمع ، وتأثيراتها المهولة على واقع ومستقبل البلد لا أرى تفاعلا معها ، حتى في حده الأدنى ، بما في ذلك الإعلام الذي انشغل بتوافه الأمور ، وتحول من محرك أساس لمختلف القضايا والظواهر في كل

المجالات إلى عنصر فاعل من عناصر صناعة الجهل والتسطيح ، والهدم المتعمد للنسيج الاجتماعي !

إن تشدد الأهل فيما بينهم في قضية الزواج ، في ظل وجود ثقافة آخذة في التمدد والانتشار حتى في الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها قطاع كبير من الناس ، يخلق أمراضا اجتماعية عصية على العلاج ، بما يهدد أمن وسلامة الجميع !

والدولة بمؤسساتها طرف فاعل في المشكلة ، لكن المجتمع بأفراده يتحمل الجزء الأكبر ، فاستئصال المشكلات الاجتماعية لا يمكن أن يتم عبر قوانين الدولة وحدها ، وإنما بإعادة ترتيب الأولويات في ذهن كل شخص ، وهدم الأفكار والتصورات الدخيلة على ثقافتنا الإسلامية والعربية الأصيلة ، وبناء نسق فكري يتلاءم مع معطيات الواقع وتحديات المستقبل !

*****

إنه لا يحركني لأخيك مثلما يحركني لأخي !

قدم متمم بن نويرة إلى المدينة يشكو خالدا بن الوليد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنه قتل أخاه مالك بن نويرة ، وكان خالد قد قتله متأولا ..فجلس بعيد صلاة الفجر يبكي حزنا على أخيه وهو يبث الشكوى إلى خليفة رسول الله..

وأثناء البكاء كان عمر بن الخطاب يرمق صنيع متمم وهو ينسج أبياتا من شعر الرثاء حزنا على أخيه ، فأعجب بتلك العاطفة عمر ، وطلب من متمم أن يقول شعرا في أخيه زيد بن الخطاب على غرار ما قال في أخيه مالكا ..

وكان عمر شديد الحب لزيد ، واستشهد في حروب الردة!

فلم ينجذب عمر إلى شعر متمم في زيد ، وظن أن بمقدور متمم أن يقول شعرا يبكيه كما بكى في قصيدة متمم على أخيه مالك ، هنا قال متمم :

إنه لا يحركني لأخيك ما يحركني لأخي

! بعيدا عن أن التصنع والتكلف لا يؤتي ثماره مثلما يصنع الصدق فإن بعض الناس لا شعوريا ، يريد من الآخرين أن ينحو نحوه ، يغضبون إن غضب ، يفرحون إن فرح ، يخاصمون هذا إن خاصمه ، لا يمزحون مع هذا أن كان مخاصما له وهكذا ، وكأن النفس التي تريد منها أن تصنع صنيعك لا طريق لها تسلكه غير طريقك ، ولا وجهة لها غير وجهتك!

إن النفوس متباينة ، والعقول متفاوتة ، ولئن كان الناس مختلفون في اللون والطبائع وطرق معايشهم ، وفي الثقافة التي يشربون منها فأنهم يقينا مختلفون في ردات الفعل ، فلا تنظر من أحدهم نفس ردة فعلك تماما كأنكم نسخة كربونية حتى في قضايا الخير والشر!

*****

(لا تسمع فيها لاغية)

إن من أكثر ما يتضايق منه الإنسان في الدنيا علمه بأن أحدهم يتحدث عنه بسوء ، ينهش في جسده إذا غاب ، وينال من سمعته عند كل باب ، ويحط من قدره في كل واد !

ولهذا لما تكلم الله سبحانه وتعالى عن صفات وأحوال أهل الجنة وصفهم بالابتعاد عن الحديث عن الآخرين ، والخوض في أعراضهم ، ووصف الجنة ذاتها بأنها خالية من اللغو ، وهو الحديث بباطل ، فقال سبحانه (لا تسمع فيها لاغية) وقال أيضا (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) وقال (ونزعنا ما في صدروهم من غل) وقال (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عند الحديث عن صفات أهل الجنة (لا اختلاف بينهم ولا تباغض) !

ولماذا يتكلم الناس عن الناس بسوء في الدنيا ؟

بسبب الحقد والحسد ، الناتج عن تباين الناس في مسألة الرزق ، وخلو بعض القلوب من الصفاء والنقاء ، فهذا يحسد هذا على ماله الذي لا يملكه ، وهذا يحسد هذا على بيته الفخيم الذي تسر به العيون ، وهذا يحسد فلانا على ولده ،

وزوجته ، وعقاراته ، وهذه تحسد الأخرى على جمالها ، وحب الناس لها ، وهكذا ..

ويتلاشى كل هذا الحقد والحسد وتعكير القلوب في الجنة لأن الله وعد أهلها بكل ما تشتهيه الأنفس ، وبالتالي إذا كان لديك كل ما تشتهيه وما تفكر به فلا حاجة لك في النظر إلى ما في أيدي الآخرين !

قد يصيب المرء وهو في الدنيا بعضا من نعيم الجنة إذا اتصف بصفات أهلها ، فلا يلغو ولا يتكلم عن أحد بسوء ، ويجاهد نفسه ليكون قلبه صافيا ، وأقواله طيبة ، خالية من أي كلمة نابية !

والقناعة النابعة من إيمان بالله ، وتسليم له ، وانقياد لأمره ، ورضا بقسمته ، تخلق هذا الصفاء الروحي ، والسلام القلبي ، الذي يجعل الإنسان قد نال خاصية من خواص أهل الجنة ... بينما هو قابع في الدنيا يتقلب بين لأوائها وشدتها !

*****

الأدب المفقود

يظن كثير من الناس أن الأدب بمختلف فروعه ما هو إلا وسيلة لمداعبة الخيال وتخدير الروح ، ولا علاقة له بالواقع فضلا عن المستقبل ، ولا يضيف قيمة للحياة ..

ولا يدري هؤلاء أن في الأدب فرصة عظيمة للتعليم والتعلم، حيث يتوفر من خلاله للفرد إمكانية التعرف على العالم ، بعيدا عن إطار ذاته ، وتفاصيل حياته ، فهو إذ يعيدنا إلى الأزمان الغابرة فإننا نستطيع أن نفهم حياتنا وحياة الآخرين بما يساهم في تغيير نظرتنا للحياة بعيدا عن التهديدات التي تصاحب أي وسيلة توعوية أخرى ، ذلك أن فيه الاستعارة والكناية وطرح العبر والعظات على لسان الحيوانات كما كان معروفا في الأمم السابقة لاسيما أمة الهند وأمة فارس ..

ما يهمني هنا ليس التأكيد على أهمية الأدب في حياتنا عموما ، بل تسليط الضوء على جزئية أن الأدب بصوره المختلفة (شعر، قصة ،نثر ، رواية) قد يمثل في وقت ما المقاوم الأوحد للظلم والاستبداد ..

انظر إلى اللوحة الأدبية الرائعة التالية والتي يتجلى فيها إصلاح الإنسان عبر لسان الحيوان ، وتؤكد على قيمة أن من يقبل المديح من أعدائه يعش فقيرا أو يمت من دائه ، تلك القيمة التي نفتقر إليها افتقارا شديدا ..

حط غراب فوق غصن شجرة وفي فمه جبنة مدورة
فشمها الثعلب من بعيد ثم رآها كهلال العيد
وأخذ يهدي الشوق للغراب كأنه من خيرة الأصحاب
وقال يا غراب يا ابن صهري وجهك هذا أم ضياء البدر
لم أكن ادري أن فيك ريشا هذا حرير قد أرى منقوشا
أقسمت بالود الذي يرضيك لقد أتيت الآن حبا فيك
وها أنا أرجو أن تغني عسى بك الهم يزول عني
لله ما أحلاك حين تنجلي صوتك أحلى من صفير البلبل
فصدق الغراب قول الثعلب وحرك المنقار فعل المعجب
وصاح بكل عزمه :لا ليل فسقطت جبنته من فمه
قبضها الثعلب قبض الروح وقال في بطني حلال روحي
ثم دنا للطائر الغبي وقال قول الماكر الذكي
خذ مثلا يا سيد الغربان واحفزه للآت من الأزمان
من يقبل المديح من أعدائه يعش فقيرا أو يمت من دائه

صحيح أنه كان ينتزع الضحكات من أعماق المشاهدين ، لكنه كان عاقا لوالديه ، ومات أبوه وهو عنه غير راض !

*****

من عيوب المحادثات الإلكترونية

قبل فترة كدت أن أخسر واحدا من أعز الأصدقاء ، وذلك بسبب أننا كنا نناقش معا أمرا في غاية الأهمية عبر المسنجر ؛ فقد كان منفعلا لضائقة مرت به ، ولا أعلم عنها شيئا ، فصور له عقله جملة من المعاني التي لا تعكس حقيقة المفردات التي اخترتها أثناء المحادثة ..

ومن يومها قررت ألا أتكلم كثيرا عبر المسنجر أو الواتس أو غيرها من وسائل المحادثات الالكترونية ..

فعلى الرغم من كونها وسيلة مهمة لأولئك الذين يعانون من الخجل والكسوف أثناء حديثهم مع الآخرين وجها لوجه ، وتوفر مناخا مناسبا للتواصل المجاني بدلا من الاتصال المكلف ربما في بعض الدول ..

إلا أن ما ينتج عنها من مشاكل يجعل سلبياتها أضعاف أضعاف إيجابياتها ..

فالإشكالية الكبرى أن البعض يستخدمها في الحوارات المهمة في حين أن الطرفين ينتقلا لا إراديا من التركيز على المضمون إلى التركيز على نواحي أخرى تتعلق بالتصورات التي يحملها كلا الطرفين حول كل مفردة في الحديث ، وما ينشأ عن تلك التصورات من أسئلة غير منطقية يكون الموجه الأول فيها هو المشاعر التي غالبا ما توجه العاطفة نحو الجانب السيئ من التفسيرات ؛ خصوصا إذا كان المزاج معكرا ، والنفسية في أسوأ حالاتها ..

لا أفضل من حديث وحوارات ومناقشات تلتقي فيها الأرواح قبل الأجساد ، تعالج العين أخطاء اللسان ، وتنقل لغة الجسد المشاعر واضحة جلية حتى لو عجزت المفردات عن ذلك ، وتتواصل المشاعر فيما بينها بدون واسطة قد تفسد من حيث أراد الطرفان الإصلاح .

*****

الدراما الدخيلة

كذلك من ضمن ما ساهم في تحلل المجتمع على نحو غير مسبوق كثرة الأعمال الدرامية التي يبدو فيها الاستعلاء على الأعراف والتقاليد والموروث الثقافي ..

في السابق كانت الأسرة المصرية تجتمع على أعمال العبقري أسامة أنور عكاشة ، وبعض أعمال وحيد حامد ، ومحمد صفاء عامر ، وغيرهم ، يشاهدون أعمالا إن لم تؤكد على قيم اجتماعية راسخة ، فهي في حدها الأدنى لا تخدش في قيم مستقرة ، ترفه تلك الأعمال في مجملها عن الأسرة الكادحة ، عندما يجتمع الكل حول الشاشة الفضية قبل ظهور أجهزة الهاتف الذكية !

في هذه الأيام غزت المسلسلات الهندية والتركية والكورية كثيرا من البيوت ، حاملة معها ثقافات عابرة للحدود ، تنتقد الدين ، وتغذي الخلاعة والمجون من خلال المصادفات الفارغة التي تستخف بالعقول ، وتؤكد على الخيانات الزوجية في قالب درامي تتشربه النفس ، وتميل إليه العاطفة ، متكئة على اللف والدوران والإطالة في غير محلها بما يجعل القيم السلبية تتسرب إلى النفس خلسة في غياب للعقل أو عبر استغفاله !

لما رأيت انتشار تلك المسلسلات الدخيلة على ثقافتنا ، تابعت بعضا منها للوقوف على مضامينها ، وأهم رسائلها ، فرأيت الخيانات الزوجية ، والعادات

المقيتة التي لا تتناسب مع عاداتنا الشرق أوسطية فضلا عن عدم ملاءمتها لهويتنا الدينية ..

ما فائدة أن يجلس المشاهد العربي شهورا يتابع مسلسلا ؛ الإجابة التي يقدمها لسؤال واحد مفاده : كيف تنجح امرأة أن تسرق زوج صديقتها المقربة في قالب درامي مصحوب بموسيقى تصورية تخترق الوجدان فيتعاطف معها المشاهد !

لا إشكالية على الإطلاق من الانفتاح الثقافي على الآخرين ، فالحكمة ضالة المؤمن إن وجدها فهو أحق الناس بها ، غير أن الانفتاح غير المنضبط يولد مشكلات أخرى تتفاعل مع المشكلات الموجودة سلفا على نحو يجعل أي تقدم ضربا من المستحيلات ..

*****

شاعر الغد !

حار البعض عند الاستماع إلى (أغدا ألقاك) ، أهي على سبيل التقرير ؟ أم على سبيل الاستفهام ؟

وحار كاتبها العملاق السوداني (الهادي آدم) في فهم العقلية العربية التي لا تستوعب إلا ما يملى عليها ، ولا تلتفت إلى الجميل من القول والقبيح من الفعل إلا إذا تبناه شخصية معروفة كشخصية أم كلثوم ..

كان الرجل متألما كما بدا لي من آفة كثير من المصريين خصوصا والعرب عموما أنهم يلتفتون إلى الوجوه والأسماء أكثر من التفاتهم إلى المضمون، وإلى القائل عن القول ..

حينما زارت السيدة أم كلثوم السودان في أواخر الستينات قررت أن تختار قصيدة لشاعر من شعراء السودان ، فقدم لها عشرات القصائد من كبار الشعراء هناك ، غير أنها اختارت قصيدة لشاعر شاب يدعى الهادي آدم ، كانت بعنوان (الغد) وهي ضمن ديوان شعري يسمى (كوخ الأشواق) الذي صنفه النقاد ضمن أفضل ما قدم في الأدب العربي عامة والمكتبة السودانية في العصر الحديث ..

إلى جانب تميز الرجل في الشعر فقد تميز أيضا في الكتابة المسرحية ، حيث لفتت مسرحية (سعاد) التي أبدعها الرجل الأنظار إلى موهبة فذة ، ومهارة أدبية قل

نظيرها ، وهو إلى جانب ذلك كان لديه اعتزاز بالنفس كبير ، ذلك أن الرجل لم يترك مدرسته التي كان يعمل بها معلما للمرحلة الثانوية ، ولم يكن يفتخر بين الناس بأن السيدة أم كلثوم غنت له أغدا ألقاك ، فعلى العكس كان يشترط على الصحفيين ألا يسألوه عن القصيدة ، وإذا حصل واضطر لأن يتطرق إليها لم يكن يسميها بقصيدة أغدا ألقاك ، بل قصيدة (الغد) ؛ اسمها الأول قبل أن تغير فيه الست ..

كان الرجل يرى أن قصيدته (الغد) ما هي إلا قصيدة ضمن عشرات بل مئات القصائد الأخرى التي لا تقل جمالا وروعة ، ومن ثم عليه إلا يكون أسيرا للعمل الذي نال شهرة بسبب غناء أم كلثوم لها على حساب أعمال أخرى مميزة ، ولهذا كان يزعجه جدا أن يصفه أحدهم بـــ(شاعر أغدا ألقاك) ، بل كان يزعجه أكثر أن لا أحد من الملحنين السودانيين أو المطربين فكر أن يغني قصيدة له طيلة فترة الأربعينات وحتى مجيء الست إلى الخرطوم وتقرر أن تغني قصيدته (الغد)!

أستطيع أن أتفهم حالة التبعية التي لازمت بعض الدول العربية لدول بعينها كمصر ولبنان والعراق ردحا من الزمن في ظل الهيمنة الثقافية والفنية والأدبية بفعل المطبعة والمسرح والفرق الفنية فضلا عن رموز السينما الذين برزوا في المئة سنة الأخيرة ، لكن ما لا أستطيع أن أتفهمه حالة العزلة الشعورية والنفسية والثقافية بين الشرق العربي والمغرب العربي ، رغم علمي المسبق أن

هذا الخصام الثقافي والأدبي والعلمي موجود عبر التاريخ بفعل امتلاك أدوات السيطرة والتحكم ..

في السنوات الأخيرة اكتشفت على سبيل المثال أن المغرب العربي يحظى بعلماء في الإنسانيات واللسانيات والفكر لا يقلون كفاءة ومهارة وعبقرية بأي حال عن العظماء حول العالم فضلا عن العظماء في منطقة الشرق العربي ، ورأيت نماذج مثقفة في السودان الواحد منهم يعدل ألفا من مثقفي العرب ، وكلما تذكرت حالة الخصام النكد بين الشرق والغرب العربي ، والشمال عن الجنوب ، والمعززة بكثير من العنصرية ، وقليل من التواضع ، شعرت بغصة في الحلق ، ومرارة في القلب على الحالة التي وصل إليها وطننا العربي الكبير !

*****

رحم الله بدر شاكر السياب

كلما رأيت محمد عبده يشدو قائلا :

أتعلمين أي حزن يبعث المطر؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع؟

تذكرت الشاعر العراقي الفذ بدر شاكر السياب ؛ ذلك الشاب النحيل ذو الأنف الكبير الذي يصرفك عن تأمله أو تأمل العينين الصغيرتين ذلك الفم الواسع الذي تبرز على جانبيه ضبة عليا من فوقها شفة بارزة تجعل من انطباق الشفتين فوق صفي الأسنان كأنه عمل اقتساري على حد تعبير إحسان عباس الناقد والأديب الفلسطيني ..

لم يكن السياب معمرا ، فقد عاش ٣٧ عاما فقط ، لم تخل من المعاناة مع الحب والمرض والموت والغربة والفقر أيضاً ، غير أنه ترك للمكتبة العربية والعالمية كنزا أدبيا قل نظيره ، فمن خلال أنشودته (المطر) التي أعادها الفنان محمد عبده للحياة في بداية التسعينات ، حينما نجح في إنتاج لحن لها ، وقد عجز كثير من الملحنين في العراق وخارجه أن يفعلوا ذلك لصعوبة الكلمات ، أعلن الرجل تفوقه على نفسه ، مؤكدا بها وبغيرها من القصائد ريادته في مدرسة الشعر الحداثي ، كاسرا خيمة الشعر العمودي ، وهادما لجدار الكلاسيكية الشعرية التي ما تجرأ أحد على الاقتراب منه ردحا من الزمن !

كثيرون يعرفون أن السياب كان رجلا ماجنا ، مدمنا ، لازم الشيوعية فترة من الزمن ، بعيدا عن روح الإيمان في جل شعره ، أحب فتاة تنسب إلى طائفة أقرب ما تكون للشرك ، وعشق ستة من النساء غيرها ، لكن القليلين يعرفون أن الرجل نشأ نشأة بائسة لا تخلو من متاعب ومعوقات ، أثرت على نفسيته ، وتعاطيه مع واقعه وعلاوة على ذلك فقد لازمه المرض طويلا ، وقبل أن يقضي عليه كان قد تسبب في مراجعته لنفسه ، فوجد أن الشيوعية ضلال ، وأدرك أن القرب من الله والتذلل إليه هو الطريق الوحيد للراحة النفسية ، ولهذا كتب قبل موته قصيدة (سفر أيوب) ليدلل بها على صدق توجهه ، واطمئنان قلبه ، ليعكس بالأخير نموذجا حاد عن الطريق لكن لطف الله – الذي قد يأتي في المرض وغيره مما نعده من البلايا والشرور – رده إلى طريق الهدى والرشاد ، بعد الغواية والضلال ..

*****

جوزي ساراماغو : أحبوا الكلب !

كتب الروائي البرتغالي جوزي ساراماغو الحائز على جائزة نوبل للآداب قبل سنوات طويلة عن فكرة أزعجت قراءه ، فأغضبت البعض ، وأدخلت البعض الآخر في حيرة ..

حيث رأى الرجل أن الإنسان يسارع الخطى في خلع إنسانيته، بينما تبث في سائر المخلوقات بما فيها الجمادات ..لدرجة أن الرجل ركز في رواياته على شخصية (الكلب) ، على اعتبار أنه يمثل ذروة الإنسانية ؛ حيث حبه للحرية ، وتحليه بالصفاء الروحي والوفاء الثابت الذي لايعدو عليه تلون ولا غدر والتضحية العزيزة التي لا يحول دونها طمع ، فهو يرق لموت صاحبه ويبكي عليه حتى تبتل فروة وجهه !

ليس ذلك فحسب بل طلب من قراءه أن يحبوا الكلب ويجعلوه شاخصا في وجدانهم باعتباره كائنا مفعما بالإنسانية !

على كل حال سارعت السلطات البرتغالية باعتقاله ونفيه إلى جزر الكناري ؛ لغرابة أفكاره عن الإنسانية ، وعن الدين والحياة عموما !

لا أدرى لو قُدر لـ(ساراماغو) أن يعود إلى الحياة مرة أخرى ..

ماذا عساه أن يقول ؟

وماذا باستطاعة الذين تلقوا أفكاره بحيرة واستغراب أن يفعلوا وهم يرون كل يوم بل كل ساعة الإنسان يقتل أخاه الإنسان ، والأب يقتل أبناءه ، والأم ترمي طفلها في صناديق القمامة ، والزوج تهون عليه عشرة زوجته سنين طويلة لأتفه الأسباب ، في وقت تسارع بعض الدول بقتل (الكلاب) رغم أنها لا تفعل فعل الإنسان ، بل تنظر إلى فعل الإنسان مشفقة حسيرة كسيفة من عبث الإنسان المتقن !

*****

مآلات توقف الاجتهاد في الفكر السياسي

أعتقد أن من أهم الأسباب التي أودت بالأمة إلى هذا المنجرف الذي تحياه الآن من قتل وتشريد وخلافه توقف الاجتهاد والتطوير في الفكر السياسي الإسلامي حيث ظل لسنوات طويلة في طور التجمد أمام أنماط دخيلة على الفكرة النقية التي جاء بها الشرع الحنيف. إن اجتهاد بعض العلماء في مسالة تنظيم الحكم لا يعني الاستسلام لاجتهاداتهم والوقوف على مضامينها..ذلك أن مسالة الحكم من المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص تشريعي محدد بل تركت للاجتهاد في ضوء ضوابط الشرع بما يتناسب مع كل زمان ومكان .. فالأمة لسنوات عديدة لم تسعى لتجديد خطابها السياسي الذي يبرز مظاهر الجمال في الحكم الإسلامي الرشيد المستنبط من النموذج المحمدي في إدارة الدولة والحكم ((وأمرهم شورى بينهم)) ((وشاورهم في الأمر)) ((أنتم اعلم بدنياكم)). وظل العلماء مرتكزين على أراء الأئمة الكبار وظنوا أنها ملزمة ومن ثم وفى ظل هذا العجز الذي أصاب الأمة اضطررنا اضطرارا للتسليم بالأساليب المستوردة في الإدارة والحكم كالديمقراطية وغيرها ..

*****

ذكر أبناءك باحترام المعلم

علم طفلك كيف يحترم أستاذه ، لا تيأس أن تؤكد له ذلك دوما ، فمؤسسات الأمس ، ومناهج التعليم وعموم التفكير الاجتماعي كانت تفعل ذلك ، أما الآن فلا يوجد ما يحث على ذلك ، حتى وإن أساء بعض المعلمين إلى مهنتهم ! ففي كل الوظائف يقف طالب الخدمة بينما يجلس الموظف ، إلا المدرس فهو الذي يقف بينما المستفيدين جالسين ، ألا تكفي هذه !

*****

أمريكا في أفول

قبل الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنتج أكثر من ٤٤ ٪ من الإنتاج الصناعي العالمي ، بينما استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن ترفع إنتاجها الصناعي إلى ٥٥ ٪ من حجم الإنتاج الصناعي على مستوى العالم، ومن بداية التسعينات إلى أوائل الألفية الثالثة تدهورت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل ملحوظ فيما يتعلق بجانب الإنتاج الصناعي، وربما تتساوى مع دولة منفردة لا تملك أي موارد تذكر باستثناء العنصر البشري كاليابان مثلا . ومن بداية الألفية الثالثة وحتى الآن يعتمد الاقتصاد الأمريكي على القطاعات الخدمية كالعقار مثلا ، وبالتالي تراجعت البلاد تراجعا كبيرا خلال العقدين الآخرين . الذي يجعل أمريكا على رأس العالم حتى الآن ليس قوتها الاقتصادية التي كانت تمتلكها في السابق، بل القوة التي تجعلها تستدين من الآخرين حتى باتت مدينة لدول بتريليونات من الدولارات ، ناهيك عن أسلوبها في السطو على مواقع حيوية من العالم .

*****

كيف نتعامل مع عامل النظافة ؟

لأنه يحظى لدينا باحتقار وسوء تعامل بينما أمثاله في الخارج من الفئات الأعلى أجورا والأكثر توقيرا ؛ فإن الضغوط النفسية على عامل النظافة في منطقتنا في ازدياد ، وكرامته في انتقاص لا تعليها إلا الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة والشعور الطيب .. علموا أولادكم احترام كافة المهن ، لاسيما عمال النظافة ، من خلال النصائح المتكررة ، والبسمة في وجوههم ، والسلام عليهم وشكرهم بل وتعوديهم على رمي القاذورات في أماكنها المخصصة لا في الطرقات والأماكن العامة .. أسرني موقف هؤلاء الشباب الذين اشتركوا في مأدبة طعام فخمة ودعوا إليها كل عمال النظافة الذين يعملون في منطقتهم .

*****

السيرة النبوية وتربية النشء

لاحظت أنى كثير النسيان لمواضيع السيرة النبوية التي تعلمتها في الكبر ، وبحاجة إلى مراجعتها من وقت لآخر ، غير أن ما تعلمته منها في الصغر راسخ في ذهني ، لا أنساه .. وفي ظل الضعف الشديد الذي أصاب مؤسسات التنشئة الاجتماعية من مدارس وأندية ومساجد وغيرها لم يعد إلا الأسرة ، وعلى ما فيها هي الأخرى من ضعف بفعل البيئة والظروف العامة ، لكن تبقى هي الركن الأخير الذي يجب أن ينتبه إليه أولياء الأمور، وربات البيوت في القيام بتحصين النشء، وتغذيته بالمعاني والقيم الإسلامية التي تبرز مجسدة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .. في هذا الشهر الفضيل ، لا أقل من تحديد وقت معين مهما كانت الظروف كي تجلسوا أنتم ومن يقبع تحت رعايتكم على مائدة القرآن والسيرة النبوية ، لأن فيها الأمان النفسي للفرد ، والأمن والأمان للمجتمع ، لأنه وفيما يبدو أننا متجهين إلى مستقبل قريب لا يبشر بخير أبدا إذا استمرت الأحوال كما هي عليه الآن حيث انتشار الجريمة وتدني غير مسبوق في الأخلاق .

*****

أين تكمن السعادة ؟

ليست السعادة في أن يكون عملك هوايتك ، ولا حتى أن تكون زوجتك حبيبتك ، إنما السعادة كل السعادة في إدخال السرور في نفوس الآخرين ، ومشاركتهم آلامهم وأحزانهم .. ليست مهمة سهلة إلا عند من أعطاه الله نفسا طاهرة ، وقلبا زكيا ، وعقلا نقيا ، يرى الخير فيسارع إليه ، ويرى الشر ، فيبتعد عنه ويحذر الآخرين منه .. وتزاد صعوباتها في تلك الأيام ، حيث يأتي العيد والخائن لا زال جاثما على صدور المصريين ؛ فالفرحة ناقصة ، والوجوه بائسة ! فكرة أن يدرك الإنسان أن الحياة تعب وألم ، مشكلات وتحديات ، كدر كثير وصفو قليل ، وأن هذه طبيعتها ، والراحة كل الراحة في الجنة ومخالطة الصالحين ، والقرب منهم ستجعله متكيفا مع ذاته ، ومع بيئته مهما بلغت الصعاب ومهما تعاظمت الابتلاءات !

تعيش هذه الأيام شرائح واسعة من مجتمعنا المصري في حالة يرثى لها حيث العوز الشديد ، والكرب الأكيد ، والهم الثقيل .. فلا أقل من يد حانية ، تربت على أكتافهم ، وتقوم انكسارهم ، وبسمة رقيقة تذهب غيظ قلوبهم ، وقسوة أيامهم ..

اضحكوا ، وامرحوا ، إذ لا تستقيم حياة المرء والكآبة ملازمة له ؛ فالحزن المستمر من شأنه أن يقعد النفس عن العمل،والعقل عن الفكر،فلا نستطيع أن نشبع جوعاناً، أو نغيث لهفاناً، أو نحرز نصرا، أو نعمل فكرا ..

ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه (أريحوا القلوب فإن القلب إذا أكره عمي). وسارعوا في إدخال السرور على المسلمين فمن أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله ثوابا دون الجنة كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها ..

*****

اترك بينك وبين الله بابا !

كلنا منتسبون لآدم ، وآدم قد أخطأ !

كلنا نذنب ما دمنا بشر ، والمؤمن بين شدائد خمس ، ولن يسلم أحد !

لكن سلوانا أن لنا إلها يغفر الذنوب ، ويستر العيوب ، ويتوب علينا لنتوب .

وطالما أننا كلنا نذنب ونقع في المعصية ، فكيف نتعامل مع بعضنا البعض ؟!

الأصل أن نستر على صاحب الذنب ، ولا نفضحه ، وننصحه دوما ، ولا نشهر به ..

ونسأل الله السلامة له .. هذا إن كان من غير المجاهرين بالمعصية ..

أما إن كان مجاهرا بها ، فله أحكام أخرى ، والتشهير في حقه جائز لردعه وردع كل عاص مجاهر ، وحتى لا يستهين الناس بالمعصية ، وإن كان الاحتياط أولى ، وتقديم الستر على التشهير . أرى بعض الناس من حولي يكرهون أصحاب المعاصي لأشخاصهم وليس لأفعالهم حتى أنهم يستنكرون عليهم فعل الخيرات بحجة أنهم عصاة مذنبون ، ولا أدرى أي أخلاق هذه !

خرج الإمام سهل بن عبد الله التستري في رحلة لطلب العلم ، فتعرض له لصوص وأخذوا مامعه ، فكان من ضمن ذلك طعام ، نظر سهل للصوص فوجدهم كلهم يأكلون،عدا كبيرهم ، فقال له:

مالك لا تأكل ؟ قال:هذا يوم الخميس وأنا صائم . ..فقال سهل :عجباً ، لص ويصوم! فقال اللص: ياسهل لا أغلق كل الأبواب بيني وبين الله ، عسى أن أدخله يوما قال سهل: بعد ٣ سنوات رأيت رجلاً يطوف حول الكعبة ويبكي، فقلت له :أنت ذلك اللص؟ قال :نعم أنا ، أما علمت ياسهل أن من ترك بينه وبين الله بابا دخل منه يوماً ما أحوجنا لأخلاق ذلك اللص ، ومن قبلها أخلاق سيدنا سهل رضي الله عنه ، ومع معاصينا الكثيرة وذنوبنا العظيمة ما أحوجنا لترك باب علنا ندخل منه يوما على الله .

*****

لا تضعوا الناس في قلب ثابت

أحد من أعرفهم ، كان كثير من زملائي يرون فيه القدوة الطيبة ، حيث التفوق العلمي ، والالتزام الأخلاقي ، سافر وترك بلدته وظلت آثاره الطيبة معششة في نفوسنا ، ولا زلنا نتذكر طريقة كلامه ، وأسلوب مزحه ، وهزله ، وبعضا من المفردات التي كان يُضحك بها الآخرين ..

قدر الله له أن يعمل بشركة كبيرة ، انتقل منها إلى شركة عالمية ، فمكث في بلاد الغرب طويلا متنقلا بين العواصم الأوربية ، مجتهدا في تحصيل المهارات التي تؤهله للتعاطي مع الحياة الجديدة .. كل يوم في مقابلة أو اجتماع مع أكبر المدراء التنفيذيين حول العالم ..

وبعد سنوات طويلة قدر الله أن يجلس بين محبيه الذين لم يروه طيلة هذه السنوات فوجدوا اختلافا في طريقة كلامه ، ولاحظوا قصر المدة التي يجلس فيها بين محبيه ، ووقفوا على قلة مزاحه ، وانشغال باله ، وحسن هندامه ، فلم يخطر على بالهم إلا أن هذا القدوة قد ركبه الغرور وتمكن منه الكبر !

من الأخطاء الاجتماعية الشائعة تعامل شخص مع شخص آخر بنفس النمط وذات الآلية حتى لو دام الفراق بينهما سنوات طويلة ، تغيرت فيها معالم الشخصية تغيرا كبيرا ؛ سلبا أو إيجابا ، فيعمد إلى التحدث معه بنفس الأسلوب

الذي كان يحدثه به في سنوات الدراسة مثلا ، أو حينما كانا سويا في عمل واحد، أو جيرة أو غيرها من محاضن الالتقاء الدوري ..

فالأستاذ الذي لم ير تلميذه من عشرين عاما ، من الخطأ أن يتحدث معه بنفس الطريقة التي كان يتحدث بها معه في الفصل الدراسي ، فضلا عن أن يناديه باسم كان قد اعتاد أن يناديه به وهو طالب ، أو أن يمسك أذنيه ويجذبها نحوه كما لو يؤدبه من جديد ..

والزميل الذي رافق زميلا له في عمل ما ، وقدر الله لأحدهما أن يغترب ، وهناك وجد ضالته في تحصيل العلم واكتساب المهارات ، والحصول على الشهادات فنما علمه ، وتشعب ، وتغيرت قناعاته ، وتصوراته ، وأصبح ينظر للأمور بشكل مختلف تماما عن ذي قبل ، فمن المؤسف أن يعمد الزميل الأول إلى معاملة الزميل الذي تغيرت تصوراته وقناعاته بنفس الطريقة التي كان يعامله بها قبل أن يغترب أو يفترق مثلا ، فضلا عن قولبته بقالب نفسي معين ، يظن من خلاله أن هذا الزميل قد لازمه الكبر والغرور !

إن الشخصية لا تدوم على حال واحد ، بل تمر بتحولات نفسية وجسدية تعلو في بعض الأحيان على الموروث فضلا عن المكتسب ، هذه التحولات قد تساهم في تغيير العادات والتقاليد المرتبطة بالشخص ، وتتشكل لديه مجموعة قيم جديدة غير التي خرج بها من بلده أو عمله السابق ، فتتحكم في تصرفاته

ونمط تعاطيه مع الآخرين على نحو يصعب تفسيره حتى من أقرب الأصدقاء إلا من بوابة الغرور والكبر !

لا تضعوا الناس في قلب ثابت ، فكل شيء يتغير ويتبدل ، وكل يوم يمر على الإنسان يتأثر بما يستجد فيه من متغيرات ومؤثرات قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية ، ومن يعيش في حرية لن تكون نفسيته وتعاطيه مع الأمور بنفس من عاش ومكث في ظل الاستبداد ..

*****

الإبداع الحقيقي

ذات مرة سئلت المهندسة المعمارية البريطانية من أصل عراقي (زها حديد) رحمها الله رحمة واسعة عن سر شهرتها العالمية ، فقالت فيما معناه : إنني لم أتفوق بفضل حفظي لقوانين الهندسة الصارمة ، بل بإيماني بقدرتي على خلق قوانين جديدة في الهندسة تتحلى برؤية إبداعية جديدة) !

ظلت كلمة الإبداع ردحا من الزمن مقصورة على الفن والموسيقى ، لا على أنها قيمة أساسية في حياة المجتمعات ، ولو سلمنا بأن الفنان كائن مبدع على نحو يفوق غيره ويتقدم عليه ، وأسقطنا ذلك على الواقع المصري لما رأينا للإبداع وجودا إلا في زاوية يسيرة ، لا تكاد ترى من فرط الجهل وغياب المنظومة الدافعة للإبداع ، بما يعكس حجم الخواء الإبداعي في مجال يحلو للمتصدرين له أن يشنفوا الآذان بالإبداع السينمائي ، والعبقرية الفنية ، والرسالة القيمية ..

فالمتتبع لتاريخ وواقع السينما المصرية على سبيل المثال سيجد الفقر الإبداعي في أزهى صورة ، وسيجد انبهارا بالغرب حتى أبسط الأمور بما يضعنا أمام حقيقة متجلية تتمحور حول قصور العقل المصري عن الإدراك حتى في المسلمات والبديهيات ، ويبطل العنجهية التي تلازمه دوما ، وتصيب فكرته عن نفسه من أنه مركز الكون في مقتل !

لم يكن عادل إمام هو اللص الوحيد في مسيرة الفن المصري ، صحيح أنه كان لصا كبيرا حيث اعتمد في أشهر أفلامه على السرقة من السينما الغربية وتحديدا الأمريكية ومنها فيلمه الشهير (واحدة بواحدة) أو (الفنكوش) ولقد شاهدت الفيلم الأمريكي والذي يحمل عنوان (lover come back) فوجدت تشابها يصل حد التطابق ، علاوة على عشرات الأفلام الأخرى التي اشتهر بها وكلها مسروقة من أفلام أمريكية بما في ذلك أفلامه الأخير مثل (مرجان أحمد مرجان) والمقتبس من فيلم أمريكي قد تم إنتاجه في الثمانينات من القرن المنصرم ويحمل اسم (back to school) ، وفيلم أمير الظلام والمقتبس من الفيلم الأمريكي الشهير "Scent of a Woman" لآل باتشينو، وفيه فاز آل باتشينو بجائزة الأوسكار عن فئة أفضل ممثل رئيسي بهذا الدور.

فقد سبقه الموسيقار (محمد عبد الوهاب) حيث سرق لحنا شهيرا من المطربة اليونانية صوفيا فيمبو، والخاص بأغنيتها التي تحمل عنوان "poso laypamai" وركبه على أغنية (يا مسافر وحدك) رغم عبقرية عبد الوهاب في التلحين !

ولقد صدمت صدمة كبيرة حين استمعت ذات مرة إلى الفنان (سامي العدل) الذي وافته المنية قبل سنوات وهو يقول (إن أكثر من ٧٠ ٪ من الأعمال السينمائية في مصر مسروقة ومقتبسة من السينما العالمية) !

فجل ما أنتج من أفلام في السنوات الأخيرة مقتبس أو مسروق من السينما الغربية ، ولعل من أشهر تلك الأعمال :

فيلم الإمبراطور لأحمد زكي .

فيلم أمن دولت والمقتبس من فيلم "The Pacifier" للممثل فان ديزل

فيلم التوربيني المأخوذ من الفيلم الأمريكي "Rain Man" بطولة توم كروز، وداستين هوفمان..فيلم ما تيجي نرقص والذي يعد نسخة مشابهة للفيلم الأجنبي Shall We Dance لريتشارد جير وجينفير لوبيز

فيلم ليه خلتني أحبك والمأخوذ من الفيلم الأمريكي "My Best Friend's Wedding" لجوليا روبرتس

فيلم حبيبي نائما المقتبس من الفيلم الأمريكي "Shallow Hal"

فيلم جيم أوفر المقتبس من الفيلم الأمريكي"Monster-in-Law"

فيلم على جثتي المقتبس من الفيلم الأمريكي "Just Like Heaven"

فيلم بنات العم المقتبس من الفيلم الأمريكي "The Hot Chick"

فيلم الحرب العالمية الثالثة والمقتبس من سلسلة الأفلام الأمريكية المعروفة "Night at the Museum"

فيلم حلاوة روح والمقتبس من الفيلم الإيطالي "Malèna"

فيلم فاصل ونعود المأخوذ من الفيلم الأمريكي "Memento"

فيلم جاءنا البيان التالي والمقتبس من الفيلم الأجنبي "I Love Trouble"

فيلم طير انت والمقتبس من الفيلم الأمريكي "Bedazzled"

وقائمة لا حصر لها من الأفلام كلها مسروقة من أفلام أجنبية .

ملامح من شخصية زياد بن أبيه

زياد بن أبيه .. واحد من أهم الشخصيات المحورية في التاريخ الإسلامي ، ولعلي هنا لا أعالج الشخصية من بعد ديني بقدر ما أنظر إليها وأتأمل في ملامحها من بعد اجتماعي ، نفسي ، سياسي ..

بدأت المعاناة تلاحق زيادا من ولادته ؛ فلم يعرف له أب كبقية الأطفال ، فكان يدعى بزياد بن سمية ، نسبة إلى أمه ، وتارة يدعى زياد بن عبيد ، وهو الرجل الذي تزوج من سمية حين كانت مولاة لطبيب العرب المشهور الحارث بن كلدة ، وتارة يدعى زياد بن أبي سفيان ، وتارة يدعى بزياد بن أبيه لعدم معرفة والده الحقيقي ، فكان الأصل أن ينشأ نشأة لا تخلو من عقد نفسية ، لاسيما وأنه ولد في مجتمع عربي يعتز كثيرا بالنسب ، والقبيلة ، فضلا عن البطن والفخذ من تلك القبيلة !

لكنه مع ذلك لم يركن إلى داعي النفس إلى الإحباط واليأس ، فجد واجتهد في تحصيل العلم ، حتى صار كاتبا لأبي موسى الأشعري ، وتدرج في المناصب حتى صار قائدا كبيرا من قواد المسلمين ، ثم استقر به الحال أميرا على بلاد فارس !

اشتهر بين الناس بنبله ، ورجاحة عقله ، وسداد رأيه ، وفطنته ، إذ كان يضرب به المثل بين الناس في النبل والسؤدد !

يقول رواة التاريخ ، والأدب إن زيادا من أبلغ بلغاء العرب قاطبة ، وأكرمهم ، وأشجعهم ، كما أنه من الدهاة العباقرة الذين لم يجد الزمان بمثلهم !

من زاوية اجتماعية كان زياد رحمه الله مدرسة في العصامية ، ونموذجا في عدم الاستسلام للمثبطات ، ولم يترك شعورا بائسا يلازمه ، فانطلق يصنع ذاته ، ويحجز لنفسه مكانا مرموقا على خارطة الفرسان الشجعان الذين صاروا مضربا للمثل ..

وفي زمن معاوية رضي الله عنه ، وحين توسعات معاوية الرامية لبسط نفوذه ، خشي وخاف من زياد ، إذ كان معاوية بدهائه يرى أن زيادا لديه من القوة والبأس والمكر والدهاء ما يمكنه من عرقلة خطاه ، وتشتيت جهوده ، فما كان منه إلا أن استمالة واستعطفه ، فعرض عليه عرضا لا يرد !

يقال إن أبا سفيان في زيارة له إلى الطائف وقبل أن يسلم ، قد طلب بغية ، فأحضروا له سمية والدة زياد ، فوقع عليها فولدت زيادا ، ومات أبو سفيان ولم يلحق زيادا به ، فلما رأى معاوية بن أبي سفيان شدة بأس الفتى ، وقوة دهائه ، قرر أن يلحقه بأبيه ، ومن هنا سماه الناس بزياد بن أبي سفيان ..

ومن شدة ذكاءه سعى زياد لأن يحصل على صك من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتمام نسبه إلى أبي سفيان فأرسل إليها خطابا صدره بقوله من زياد بن أبي سفيان إلى أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ،،، فردت عليه عائشة الفقيهة قائلة : من أم المؤمنين عائشة إلى ابنها زياد !

لم تنس عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقال أيضا : من ادعى إلى غير أبيه ، فليتبوأ مقعده من النار .

هنا يبرز سؤال ، له علاقة بالبعد السياسي .. ألم يعلم معاوية وهو من كتاب الوحي أن إلحاق زياد بأبي سفيان مما يحرم في الشرع ، هل قصد الرجل مخالفة نص صريح لرسول الله ؟

بالطبع لا .. لم يقصد معاوية أن يرد قولا لرسول الله ، لكنها تدابير السياسي الذي ولاه الله قيادة البشر وحفظ النفوس والأعراض والدماء في المدن والقرى التي تقع تحت ولايته ، لقد كانت فارس كلها تحت قبضة زياد ، وقد تحدث من المفاسد أكبر مما يرجى من المصالح ، فاستعطفه واستمالته بشيء يتماشى مع رغباته !

إن تدابير الناس ليس كتدابير السياسي ، فقد يشرع للسياسي أن يتجه إلى شر محض خشية من شر أكبر ، وهو في هذا الإطار مجتهد وحسابه على ربه ، ومن ثم فينبغي أن نفرق بين الخطاب الدعوي الذي يبرز الأمر من وجهة شرعية وفقهية بحتة ، وبين الخطاب السياسي الذي يستند إلى ركائز قد تغيب يقينا عن عوام الناس ..

إن ما ينقص شعوبنا المقهورة ، غياب الوعي ، والمقدرة الحقيقية على الفصل بين الخطابات المختلفة ، فيتداخل في عقولهم السياسي مع الشرعي مع الاجتماعي مع الفني فيبرز لغطا ، وسوء تقدير ، وخطاب تنفير !

يبقى أن أقول إنه لمن الرشد والإنصاف والعدل أن تنظر دائما للظواهر فضلا عن الأشخاص بنظرة متوازنة لا شطط فيها ولا تحيز ، فإنك لو قرأت عن شخصية زياد ابن أبيه لأحد الرواة لرأيته يمجد الرجل تمجيدا كما لو أنه أبا بكر في قوة إيمانه ، وعمر في عدله ، وخالدا في قوته ، ولو قرأت عن الرجل لراو آخر لرأيته ينعته بأقبح الصفات !

والرجل في الحقيقة هو الشجاع الكريم القوي الذكي الخطيب المفوه ، وهو السفاك للدماء ، الباطش بضعفاء المسلمين ، هو الجيد والسيئ ، الحسن والقبيح ، لنا إيجابياته وعليه سيئاته ..

من المهم أن نبرز للشباب خاصة الشخصيات ذات الطابع المؤثر في تاريخ أمتنا كما هي بطينتها البشرية ، دون إفراط أو تفريط ، حتى ينشأ الشباب نشأة سوية خالية من العقد النفسية التي ترمي به إلى الإلحاد بعد تمام الإيمان !

*****

الخير كامن في النفوس ،حتى لو بدا لنا الآخرين على هيئة تيوس!

لم أجد الحل لوضعي ونفسيتي عند الأطباء ولكنني وجدته في الدين..

(ميلاني جورجيادس) واحدة من أشهر مطربات الراب في العالم ، قررت في عز شهرتها أن تعتنق الإسلام ، ومع أول سجدة تسجدها في حياتها لله قالت : أحسست أن جبالا من مشاكلي سقطت من ظهري!

في الواقع أجد سعادة بالغة عندما أرى رجلا أو امرأة تشهد لله بالوحدانية ، ولنبيه بالرسالة ، ولم يحدث مرة أن سمعت الشهادة على لسان أحدهم ولم أبك ، غير أن الأمر كان في ذروته مع إسلام ميلاني أو (دیامس) كما كانت تحب أن ينادي عليها قبل الإسلام ، أو (سكينة) بعد أن قررت الدخول في دين الله..

دروس عظيمة وقفت عليها مع إسلام تلك المرأة الجميلة ، النقية ، الصادقة ، التي كانت حديث الناس ، ذائعة الشهرة ، وكان السؤال الأبرز الذي يدور في ذهني : ما الذي حول كيان الشابة الجميلة المشهورة التي تجوب العالم بأغانيها ، وتحقق أرباحا هائلة من ألبوماتها ، فقد باعت من ألبومها الذي صدر في عام ٢٠٠٦ أكثر من مليون نسخة ، وكان لديها كل ما يبحث عنه أي شخص!

جانب الشهرة والثراء والجمال ، والموضة ، وزيارة كل عواصم العالم في حفلات صاخبة ، هو الجانب الذي يظهر لنا ، لأنه الجانب الذي نتطلع إليه في دنيا الناس ، لكن لم يظهر ذلك الجانب المخفي كجبل الجليد .. فلم يكن يعلم

جمهورها المفتون بها ، أنها تعاني من أزمات نفسيه كادت أن تفتك بها ، ولم ير دموعها التي كانت تنسكب كل ليلة عند دخولها إلى غرفتها على أمل أن تروي ظمأ النفس المتعطشة إلى غذائها الروحي ، ولم يراها جمهورها كذلك وهي تدمن الحبوب المنومة لإصابتها بالاكتئاب .. لعلها كانت تذهب إلى أشهر أطباء النفس في باريس خلسة!

قالت في كتابها الذي أصدرته بعد اعتناقها الإسلام : كل محاولاتي الرامية إلى راحة النفس والقدرة على النوم باءت بالفشل ، وذات مرة كنت مع مجموعة من الصديقات، إحداهن مسلمة، سمعتها تقول: أنا ذاهبة للصلاة وسأرجع، قلت لها أنا أيضاً أريد أن أصلي، فأجابتني: فليكن ذلك، كانت هذه أول مرة أضع جبيني على الأرض، وشعرت بشعور لم أشعر به من قبل، أن السجود ووضع الجبهة على الأرض لا يجب أن يكون إلا لله.

سلام على أولئك الذين يدعون إلى ربهم بسلوكهم غير آبهين بما يقال عنهم ، وسلام على الذين تخلصوا من النظرة القاسية للناس والمجتمع ، فلا ينظرون إلى هذا باستعلاء وكأنهم يرون مقعده من النار بينما هم يدلون أرجلهم في نهر الكوثر ، ولا يرمقون هذه بنظرات الاشمئزاز لأنها على معصية ، بينما نظرتهم لأنفسهم أنهم ينابيع الطهارة ، وغيرهم مصدر القذارة!

أعلم يقينا أن كثيرا من أولئك الذين يقفون على منصات الشهرة ، من المطربين والممثلين ، يحاولون دوما أن يغيبوا عقولهم لكيلا تصرخ نفوسهم في وجوه المصفقين أن اسكتوا!

لقد كان العام ٢٠٠٩ عام ميلاد جديد لـ(سكينة) ؛ ففيه أعلنت إسلامها ، متحدية كل شيء ، كل شيء، ولم تبالي بأي شيء ، فقد خرجت أمام الرأي العام الفرنسي وعلى قناة فضائية لتعلن إسلامها مؤكدة للجميع أنها جربت كل الحلول لوضعها ونفسيتها عند الأطباء والمتخصصين لكنها لم تجده إلا في هذا الدين!

بينما نحن منهمكون في الحكم على ظاهر الأشياء هناك كم من الأمور الهامة التي تحتاج إلى طاقتنا وجهدنا ، لا أدرى من الذي أقنع (ديامس) بإجازة تتفرغ فيها لقراءة القرآن ، وتتعرف على الإسلام ، ومن الذي تجرأ أصلا ونصح مطربة تقدم لجمهورها الخلاعة والمجون ، لكني أدري أن الخير كامن في النفوس ، حتى لو بدا لنا الآخرين على هيئة تيوس!

*****

فليحذر السميعة !

من أجمل القصائد في الشعر العربي قصيدة (أراك عصي الدمع) للفارس العربي البليغ أبو فراس الحمداني ، الذي ما أن انبرى يفاخر ، في صدر القصيدة حتى هزمه الغزل ، فلان قلبه ، ورق فؤاده ، وأنتج لنا واحدة من عيون الشعر العربي ..

من الأسباب التي خلدت ذكر القصيدة ، قيام الفنان (عبده الحامولي) بتلحين أبيات منها ، وغنائها في القصور والحفلات المختلفة ، غير أن غناء أم كلثوم لها في عام ١٩٢٦ ، بث فيها الروح مرة أخرى ، لكن الحياة الكاملة دبت فيها ، حينما أجرى رياض السنباطي بعض التعديلات في اللحن الذي أبدعه الشيخ زكريا أحمد في منتصف الأربعينات ، وغنتها الست في منتصف الستينات ..

خطر ببالي وأنا أقرأ القصيدة وأسمعها من شاعري المفضل ، أمر له علاقة بالتخصص ، وكيف يفشل العمل إذا أوكل إلى غير أهله ، أو على الأقل لن يخرج على الشكل المطلوب !

يقول أبو فراس الحمداني :

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ، أما للهوى نهيٌّ عليكَ ولا أمرُ ؟

بلى أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ ، ولكنَّ مثلي لا يذاعُ لهُ سرُّ !

أما عبده الحامولي والشيخ زكريا أحمد ورياض السنباطي ، فلضعف قدراتهم النحوية ، وإدراك الفرق بين المصطلحات فجعلوا بدلا من لفظة (بلى) (نعم) ولهذا جاءت الأغنية على هذا النحو

أراك عصي الدمع،شيمتك الصبـــــر

أما للهوى نهي عليك ولا أمرُ

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع له سر

قد يقول قائل : وهل هناك فرق كبير بين (بلى أنا مشتاق) و (نعم أنا مشتاق)؟

بالطبع هناك اختلاف جوهري كبير بين (بلى) و(نعم)

فـ(نعم) في اللغة تثبت ما قبلها أن كان مثبتا أثبتته وان كان منفيا نفته ، أما (بلى) فهي للإثبات دائما !

ولهذا لما وضع الملحنون (نعم) بدءا من عبده الحامولي مرورا بالشيخ زكريا أحمد وصولا لرياض السنباطي بدا المعنى مقلوبا ..

فليحذر السميعة !

*****

في ذكرى ميلاد الأديب الروسي العملاق تولستوي

كان تولستوي أديبا ، و فيلسوفا من العيار الثقيل ، حيث أعاد للفلسفة بريقها كعلم يتعاطى مع المجتمعات فيؤثر فيها ويتأثر بها ، في بعد ملحوظ عن التنظير الجاف ، ومما يحسب له أنه آمن بضرورة الرجوع إلى الفطرة وسذاجتها ، والصبر على المواجع وأذى المجرمين مهما كلف ذلك من عناء في مشهد يتقارب مع سلوكيات وفكر المتصوفة .. كما يحسب له أنه تنبأ بأن شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

وفي ذكرى مولده كتب أحد الأفاضل منشورا يتحدث فيه عن نموذج ناجح في العلاقة الزوجية ، يصح أن يكون مثالا وقدوة للأزواج والزوجات ، حيث ذكر أن زوجة ليو تولستوي ، والتي تدعى صوفيا ، كانت حريصة على إشغال الأطفال حتى لا يعكروا صفو والدهم حينما كان يقضي وقته في حجرته يكتب على ضوء مصباح زيتي ..

ثم تساءل :

لو كانت صوفيا كاتبة روائية، فهل كان من شأن تولستوي أن يساعدها على النحو الذي ساعدته ؟

وهل كان من شأنه أن يعد نسخاً من مخطوطات زوجته ، وأن يأخذ الأطفال في نزهة ويلبي احتياجاتهم كي تحظى زوجته بهدوء أطول للتركيز في كتابتها ؟

واختتم المنشور بقوله : وراء كل رجل عظيم امرأة ، ولكن هل وراء كل امرأة عظيمة رجل ؟؟

لعل كثيرا ممن قرأ المنشور لاسيما من الزوجات أسر بهذا الفعل ، وشكر لصوفيا صنيعها ، وهو بالفعل موقف يستحق الإشادة به والثناء عليه !

في الحقيقة وأنا أقرأ المنشور خطر ببالي توصيف لواحدة من أكبر المشكلات التي نعاني منها ؛ ألا وهي رؤية جانب واحد من القضية _ أي قضية_ فقليل من يتأنى في الحكم على الظواهر والأمور ، وغالبا يبدو متسرعا متعجلا في إصدار الأحكام ، وأكثرنا يتكلم بما يراه ويدركه ، ولا يحاول أن يرى الأمر من كل جوانبه حتى يكون حكمه منطقيا وأقرب للصواب ..

في قصة تولستوي أيقونة الأدب الروسي وأحد عظماء الأدب على مر العصور وزوجته صوفيا العجب العجاب ، فمن يطلع على أول خمس سنوات من حياة تولستوي وزوجته يرى من خلالها علاقة زوجية أقوى ما تكون العلاقات ..

فمن يتصور أن امرأة تقوم بنسخ إحدى روايات الرجل وهي رواية الحرب والسلم ٧ مرات قبل ظهور الطباعة الحديثة ، وهو العمل الضخم إذ يصل إلى آلاف من الصفحات ، تقوم بهذا العمل إلى جانب مسؤولياتها المتعلقة بتربية الأولاد الذين وصل عددهم إلى (١٣) ، وتنظيف البيت ، وترتيبه، وإعداد الطعام وما إلى ذلك من مسؤوليات الزوجة !

ومن يتصور أن امرأة تقع في حب رجل يكبرها بأكثر من ١٦ سنة ، على الرغم من أنه أسر إليها بعيوبه الشخصية والتي كان من ضمنها ما تعافه أي امرأة سوية ، لكنها مع ذلك أحبته بل وعشقته ..

بعد السنوات الأولى من العشق بدأت المشاكل تدب في أوصال البيت ، ولم يبذلا جهدا لتقريب وجهات النظر ومعالجة المشكلات التي كانت تكبر كل يوم ، فامتلأ البيت بالصراخ والشجار والمناكفات لدرجة أن تصف صوفيا نفسها يوما ما بأنها أتعس الزوجات ؟؟

ولدرجة أنها فكرت في الانتحار فعلا ، وسعت لذلك فقفزت في بحيرة قريبة من بيتها غير أن الجيران تمكنوا من إنقاذها ، وهنا لم يجد تولستوي بدا من مغادرة المنزل دون رجعة ليجدوه ميتا في الطرقات ..

الشاهد : لا تكونوا حالمين خياليين ، متمسكين بما تودون أن تروه فقط ، بل كونوا واقعيين ، الزوجان اللذان نراهما في قمة السعادة في الظاهر ، لا نرى كيف تكون العلاقة بينهما في الغرف المغلقة بعيدا عن أعين الناس ، فلا يمكن أن نأخذ اللقطة التي نفتقدها أو نحلم بها لنجعلها مقياسا وحيدا في الحكم على الأمور ..أدرك أن الأفلام والمسلسلات عكست حالة من المثالية في العلاقة بين الرجل والمرأة ، تعلق بها كثير من البنات ، ومن خلالها حلقن في السماء ثم استيقظن على واقع مغاير تماما ، وأدركن أنهن في فيلم رعب بطله قابع في زاوية المجلس يتدلى كرشه من أسفل فلنته الداخلية !

في ذكرى وفاة سيد درويش

رغم أنه غادر الحياة وعمره لم يتجاوز الـ(٣٢) عاما إلا إنه استطاع أن يخلد اسمه بأحرف من نور في الذاكرة السياسية والتاريخية والاجتماعية والفنية المصرية ..

(سيد درويش) الذي قتل قبل (٩٦) عاما ، وقبل عودة سعد زغلول باشا من المنفى بيومين فقط ، بعد أن جهز له لحنا عبقريا لكلمات وطنية ظلت محفورة في العقل الجمعي المصري لعقود طويلة ، من الشخصيات التي تأبى الذاكرة أن تنساها ، وصورته حاضرة في ذهني كلما لاح في الأفق نور فجر جديد !

ألهب (درويش) حماس المصريين في ثورة (١٩) وارتبط اسمه بها ، حيث عزز مطالبها في نفوس الثوار بأغانيه وألحانه ، من نوعية "بلادي بلادي، لك حبي وفؤادي" و"قوم يا مصري مصر دايما بتناديك" و"أنا المصري كريم العنصرين، بنيت المجد بين الاهرامين" ، و(بنت مصر) إثر استشهاد حميدة خليل الثائرة الحرة .. وغيرها من الأغاني الوطنية الرائعة التي تعكس قيمة الفن الراقي في حياة الشعوب .

ومن اللطيف أن أشهر أغانيه المطالبة بعودة سعد زغلول (زغلول يا بلح يابلح زغلول ، ياروح بلادك ليه طال بعادك) ليؤكد بها أن (البلح) عنصر حاضر في مسيرتنا السياسية المعاصرة لا ينفك عنها !

والمدقق في تاريخ تلك الحقبة وتفاصيلها سيلاحظ أن إنتاج سيد درويش الفني الذي ألهب حماس الثوار في عام ١٩١٩ أضعاف أضعاف ما لحنه وغناه في تاريخه كله ، الأمر الذي جعل مفكرين وعلماء مصر في ذلك الوقت من أمثال الأديب عباس العقاد يطلقون عليه الألقاب الفخيمة من عينة إمام الملحنين ، وفنان الشعب ، وخالد الذكر ، وباعث النهضة الموسيقية ..وهو الأمر ذاته الذي جعل الاحتلال الإنجليزي وأذنابه في مصر يسارعون لقتله قبل وصول سعد زغلول من المنفى إلى مصر بيومين فقط ، فلا يسير في جنازته إلا بضع نفر من أهله وجيرانه كعادة الرموز المؤثرين في الحياة المصرية ..لكن المرجفين اتهموا درويش بأنه مات نتيجة تعاطيه جرعة زائدة من المخدرات ، ولهذا لما هم أهله بفتح المقبرة وإعادة تشريح الجثة امتنعت السلطات ورفضت الطلب ، خوفا من افتضاح أمرها ..وبعيدا عن تاريخه السياسي والنضالي كان سيد عبقريا في التلحين ، والشاهد على ذلك أنه لحن أغنية (بوخمار خونفشار) والتي كتب كلماتها رفيق كفاحه بديع خيري بخمس لهجات ولغات وهي اللهجة المصرية ، الشامية ، السودانية ، التركية ، اليونانية ، في تناغم تعجز الكلمات عن وصف جماله ..سيد درويش عبقرية مصرية فذة ، أزهري ، عصامي ، لم يخجل من أن يعمل عامل بناء ، ولم يتردد في صقل موهبته ، والبحث عمن يبرزها ، فقام يعلن عن نفسه ، وساهم في قيام كل مصري ليدافع عن حقه حين غنى وقال (قوم يا مصري) فأقعده الطغاة على الأبد !

الفهرس

مقدمة ٦
تقديم الأديبة والكاتبة الأستاذة نسرين عناني ٨
رسالة إلى عموم النساء ١٠
كن مرنا ! ١٣
كونوا كنبات الخيزران ١٥
هجر الأساليب القرآنية في التعبير ١٧
كن رجلا ! ٢٠
(آفة التصنيف) ٢٣
عندما عشق أحمد رامي (القلة) ٢٦
بين (حاء) فايزة و (هاء) أم كلثوم ٢٩
فالحب أكبر من أن تلوث سمعته ! ٣١
لا تبالغ ٣٥
لذا فالعلماء كثير ، والفقهاء قليل ! ٣٨
أبوك بيشتغل إيه يا بني ؟! ٤١
دروس من الأدب الجاهلي ٤٤
دروس في السياسة والإدارة ٤٧
خذ العفو ! ٤٩
لا تيأس ! ٥٢
ماذا تصنع الوعود المبالغ فيها ؟! ٥٦
لا تكن مثاليا ٥٨
تأملات في مسلسل (أنا وأنت وبابا في المشمش) ٦٠
(حكاية الواد بلية) ٦٣
من محاسن الأخلاق ٦٦
الرزق ! ٦٩

عن ضرورة المسافات في العلاقات ٧٢
هل يتحدث الموريتانيون العربية ؟!..... ٧٤
التجريب قبل التشغيل ٧٧
السينما والواقع..... ٨٢
كيف تحولت التنمية البشرية من علم إلى أداة للنصب ؟!..... ٨٥
والاستعجال لا يأت بخير !..... ٨٨
لماذا سميت بـ (نون الوقاية) ؟ ٩٠
وقفات في حياة عمر بن أبي ربيعة..... ٩٣
سر من أسرار نجاح عبد الحليم حافظ ٩٦
والإنصاف جميل .. حتى مع الأعداء !..... ٩٩
فراسة عمر بن عبد العزيز وحسن منطقه ١٠٢
الوليد بن المغيرة نموذجا..... ١٠٤
خطأ يقع في أغلبنا ١٠٦
الزير سالم وحرب البسوس..... ١٠٩
الحرب التي استمرت أربعين عاما..... ١١٤
مواقف الدعاة من سورة يوسف ١١٧
رفقا بالقوارير ١٢٠
صخر والخنساء..... ١٢٢
بين الحطيئة والزبرقان..... ١٢٥
محمود الجنايني..... ١٢٧
طلب غريب..... ١٢٩
فاطمة عيد سابقة عصرها !..... ١٣١
إنه لا يحركني لأخيك مثلما يحركني لأخي !..... ١٣٣
(لا تسمع فيها لاغية) ١٣٥
الأدب المفقود ١٣٧
من عيوب المحادثات الإلكترونية..... ١٣٩

الدراما الدخيلة ١٤١
شاعر الغد !..... ١٤٣
رحم الله بدر شاكر السياب..... ١٤٦
جوزي ساراماغو : أحبوا الكلب !..... ١٤٨
مآلات توقف الاجتهاد في الفكر السياسي ١٥٠
ذكر أبناءك باحترام المعلم..... ١٥١
أمريكا في أفول ١٥٢
كيف نتعامل مع عامل النظافة ؟ ١٥٣
السيرة النبوية وتربية النشء ١٥٤
أين تكمن السعادة ؟..... ١٥٥
اترك بينك وبين الله بابا !..... ١٥٧
لا تضعوا الناس في قلب ثابت ١٥٩
الإبداع الحقيقي ١٦٢
ملامح من شخصية زياد بن أبيه..... ١٦٥
الخير كامن في النفوس ، حتى لو بدا لنا الآخرين على هيئة تيوس! ١٦٩
فليحذر السميعة ! ١٧٢
في ذكرى ميلاد الأديب الروسي العملاق تولستوي..... ١٧٤
في ذكرى وفاة سيد درويش..... ١٧٧
الفهرس..... ١٧٩

*****

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع